



لولاك...



لولاك

بعيداً عن العالم، في مزرعة نائية، حيث الوجود نسيت
الابتسام، وحيث لا امرأة تجرؤ على الدخول. هناك وصلت
ماندي تبحث عن أخيها، والتقت سيد الانتقام.
كان أول ما فكرت فيه هو الهرب، غير أن غرانت مونتغمري
أرادها رهينة فالجراح التي تركها أخوها في وجهه وقلبه ما
زالت حية. لقد استطاع أخوها الهرب مرة لذا لن يسمح لهذا
أن يتكرر ثانية مع ماندي.

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦٠٠ د.	مصر ٤٠٠ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	البحرين ٦٠٠ د.	اليمن
الأردن ٦٠ د.	السعودية ٤٠٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.			العراق

منتديات ليلاس

١ - رجل لا يعرف الرحمة

كان توتر أعصابها يزداد كلما اقتربت من كرومانديل . . قد تفهم سبب انتقال رايان من مكان إلى آخر إذا كان يريد أن يكون قرب وظيفته . . لكن كان يجب أن يخبرهم بانتقاله ! فمن الخطأ أن يغير عنوانه دون إعلامهم . لقد قطعت مسافة طويلة فوق المحيط الهادئ حتى تجده، لكنها صدمت صدمة رهيبة عندما اكتشفت أنه انتقل من مسكنه إلى مكان آخر، وقد كانت حسنة الحظ لأن أحد جيرانه تذكر عنوان عمله .

دعت الله طوال الطريق ألا يكون قد ترك عمله كما ترك مسكنه، لأن ذلك سيكون كالقشة التي قسمت ظهر البعير . منذ خلفت أوكلاند وراءها، امتدت المناظر الطبيعية أمامها فلم تكن ترى إلا السهول المنبسطة الغنية بالخمائل الخضراء . في البعيد، تحول لون الأرض البني إلى ضباب أزرق يميل إلى الاخضرار حيث يبدأ الدغل . . لكن قبل الوصول إلى الغابة الكثيفة، انعطفت السيارة عن الطريق الرئيسي، سالكة طريقاً تريبياً ضيقاً أفضى بهم أخيراً إلى بيت منبسط قرميدي السقف . رفعت جيات ترعى العشب رأسها غير عابثة بهذه السيارة المارة . ولم يكن هناك إلا مساحات الحقول الشاسعة الممتدة في كل اتجاه . . وكأنها وسط لا مكان .

www.liilas.com/vb3

سألت سائق التاكسي وهي تنقده أجرته :

- أهذه مزرعة غرات موتغمري؟

لو كانت تعرف أن هذه المزرعة بعيدة هذا البعد كله لفكرت مرنين قبل أن تستأجر التاكسي... فكرت في أن تطلب من السائق الانتظار حتى تتحقق من وجود رايان أو عدمه، لكنها عادت فعدلت عن رأيها.

هز السائق رأسه :

- بكل تأكيد يا سيدني... هل يتوقع قدومك؟

- جئت أطلب أخي العامل في هذه المزرعة.

ابتسم السائق قبل أن ينطلق بسيارته مسرعاً وما هي إلا ثوان حتى اختفت بعد أن خلفت وراءها غباراً كثيفاً.

دنت من المنزل الواسع الانتشار تجيل عيشها فيه معجبة بما ترى... إنه منزل طويل له سلسلة قناطر تضفي على الحدائق القابعة خلفه لمحة مغرية.

ما إن اقتربت من الباب حتى ظهر رجل كهل يضع قبعة منخفضة فوق وجهه الذي لوحته أشعة الشمس.

- أتم تضلي دربك يا آنسة... نحن لا نستقبل الزوار هنا.

كانت الكلمات الفظة الجافة مشبعة للهمة. لكن ماندي نظرت إليه بأمل :

- هل أنت السيد موتغمري؟

ارتفع حاجبا العجوز عجباً، وتغضن جبينه بآلاف الخطوط.

- أنا مدير مزرعته... هل يتوقع قدومك؟

هزت رأسها :

- لا... لكن الأمر مهم، وسأكون ممثلة إن أعلمته بوجودي.

تابع الرجل نظراته المرتابة :

- لا يقابل السيد موتغمري أحداً دون موعد سابق. هلاً قلت لي ما الخطب؟

توترت ماندي، من أي نوع من الأشخاص هو غرات موتغمري... وقالت :

- الأمر يتعلق بأخي... رايان شيلتون.

تغيرت أسارير العجوز، واعتلاها التجهم :

- أنا آسف آنسة... لقد بت متيقناً أكثر من ذي قبل من أن

السيد موتغمري لن يقابلك.

ضاقت عينها، تحس بارتباك لا تفسير له.

- ثم أقطع هذه المسافة كلها حتى تبعثني... أطلب منك أن تقودني إليه.

هز كتفيه :

- حسناً... لكن... أرجوك، انتظري هنا... سأرى ما أستطيع فعله.

أنجّه نحو إحدى القناطر، وقبل أن يختفي نظر خلفه، فأصيبت ماندي بالحيرة. إن هذا الكهل لم يؤكد أو ينفي وجود رايان. هو يعرف أخاها على ما يبدو لكن ثمة خطأ ما.

إن دهرأ مضى قبل عودة الرجل ولم تكن قد تحركت من موقعها... الشمس الحارقة جعلتها تأسف لأنها لم تعثر قبعة.

لكنها كانت مسرورة بهذه الشمس وبهذا اليوم الرائع الذي يندر أن يكون له مثيلاً في انكلترا.

قال العجوز :

- سيارك السيد موتغمري... اتبعيني!

سارت رافعة رأسها بإباء يتعالى صدى حذائها على الأرض

المرمرية، وعينها على غير إرادة منها، تجولان فيما يحيط بها.

لتعلمها بأن فرانت مونغمري رجل ثري جداً.

لم يحاول الرجل الجالس خلف مكتبه الوقوف حين دخلت، بل لم ينظر إليها حتى.. فاستنتجت أنه ألقظ رجل رآته قط. كانت ساقاه ممدودتين تحت الطاولة، ومداسه الجلدي العالي الساقين يبرز من الناحية الأخرى.. كان يقلب قلماً بين أصابعه القوية النحيلة، ويبدو مهتماً به أكثر من اهتمامه بالزائرة.

أخيراً رفع بصره إليها:

- انسة شيلتون؟

هزت مائدي رأسها، فوقع ديوس من شعرها الأحمر الطويل مرسلًا خصلة منه حول وجهها. كانت قد رفعتة عمداً ليبرد الهواء مؤخره عنقها. والآن بعد أن انسدت هذه الخصلة أرجعتها إلى الخلف ثم ردت نظره بأخرى لها الكبرياء نفسها والعجرفة ذاتها.

كان واضحاً أنه غير مسرور برؤيتها، مما يشير إلى أن العودة بينه وبين شقيقها مفقودة. وبما أنها لم تأت إلى هنا لتراه هو، فعليها أن تتجاهل عذاه حتى تجد رايان. لكنه سبقها بالقول:

- إذا كنت تسعين وراء أخيك، فاحملي نفسك وعودي من حيث أتيت لأنه ما عاد يعمل في المزرعة.

لا مجال للخطأ فالكراهية بينة في صوته والتكبر واضح فيه. والطريقة التي ينظر فيها إليها، تشير إلى أنه يكرهها كما يكره أخوها، وهذا ما جعلها تنتفض إذ أحست وكان سكيناً تفرز في لحمها. راحت تبسط بصعوبة على اندفاع يحدوها إلى التراجع بعيداً عن هذا الرجل ولسانه السليط اللاذع.. لكنها قالت:

- ربما تستطيع أن ترشدني إلى مكانه؟

لم تشعر في حياتها بأنها مرفوضة هكذا.. إنه يكره فعلاً مجرد النظر إليها، وهذا أمر يحيرها، فهما لم يلتقيا إلا الآن.

- ليس لدي فكرة.

عرفت من هذا الإنكار الأجش أنه لم يكن يهتم. ففأنت محتجة:

- لكن.. يجب أن تعرف. إنه أخي.. ألا تفهم هذا؟ جئت من انكلترا بغية رؤيته.

- لا يهمني أبداً من أين أتيت. أنا لا أرحب بك هنا. أرجوك ارحلي.

هزت رأسها بعنف وسقط ديوس شعر آخر، فما كان منها عندئذ إلا أن أزالته ما تبقى من دبائيس ثم ردت شعرها إلى الوراء بأصابع نافذة الصبر:

- وما هو المكان الذي تقترح علي قصده؟ وصلت إلى مزرعتك بالأجرة. وقد كلفتني مجيئي ثروة، ألا تعرف مكان رايان حقاً؟ لقد صرفت التاكسي.

- أنت غبية كبنات جنسك. كيف تصرفين التاكسي قبل أن تتأكدي من أنك في المكان الصحيح؟ أعتقد أن على ماكس الآن أن يوصلك، أقبلني نصيحتي، اركبي الطائرة الأولى العائدة إلى بلادك.. فلا شيء لك هنا.

انتفضت مائدي وتوترت أعصابها، فلدنت من مكتبته، تحديق في عينيه، اللتين أضحتا أشد أسوداداً وتحجراً من الليل، تثقيان نفسها وتصلان إلى روحها.. فأحست بالارتجاف، من قوة رجولته:

- أرفض الذهاب حتى تدلني إلى مكان أخي إذ يجب أن أعلم مكانه.

دفع نفسه ببطء واثقاً، فتمنت مائدي لو بقيت بعيدة، فمع أنها لا تعتبر نفسها قصيرة فطولها مشه وسبعين سنهتيراً إلا أن هذا

الرجل، الذي يعلوها كالبرج الشامخ أطول منها بما لا يقل عن ثلاثين سنتيمتراً. كما أنه عريض المنكبين، نحيل الخصر يرتدي جيتراً باهتاً.

- ليس من عادتي الكذب آنسة شيلتون. فأنا لا أعرف مكان أخيك، ولا أهتم بمعرفته. أهذا واضح؟
ارتفع صوته وهو يكلمها، حتى وجدت صعوبة في كبت غضبها.

- واضح تماماً. لكنني ما زلت أؤمن بأنك قادر على مساعدتي. وليس لي سواك، بدلني وارشدي.
التوت شفتاه ازدراء:

- أويهمك حقاً أن تجديه؟

- إنه لم يتصل بنا منذ سنتين.

بدأ لها رجلاً يكره التقييد إلى الكرسي، ويجد أن من الضرورة التعامل مع الشر مباشرة للتخلص منه. وهي قد سببت له الاضطراب؟

- لم يبد لي يوماً ابناً لأم.

- لكنه راسلنا في بداية وصوله إلى هذا المكان وكان يبعث إلينا بخطاب شهرياً. وعندما امتنع، اضطرب والداي.

اعتلى عبوس أسود وجهه وجعله أشد خطراً، مما أرسل رعشات إلى ظهرها:

- لا أدري لماذا تقولين هذا. فأنا لا أهتم بأي شيء يخص رايان شيلتون.

أصبح ملء عينها العداء:

- حسن جداً. لقد تخاصمت معه إذن. لكن هذا ليس سبباً يجعلك ترفض مساعدتي. فقد كنت أتوي البقاء معه.

- إذن. حظك سيء!

وعاد إلى كرسيه الذي وجهه ناحية النافذة. لاحظت ماندي أن شعره الأسود يغطي عنقه. وأجست برغبة مجتونة في ملامسته. لم تكن قد شاهدت من قبل رجلاً له هذه الجاذبية.

إذا ما قورن مع من قابلتهم اعتبر قامسياً ومتوحشياً، بل بربرياً على الأرجح. فيه اتصال بالأرض الصلبة راق لها بشكل غريب، وجعل نبضاتها تتسارع. وعلى الرغم من شعورها بالغضب الشديد تجاهه إلا أنها لم تلتق بأحد لديه مثل هذا العداء المفتوح. صاحت به:

- لقد جئت إلى بلادك بتذكرة ذهاب بدون إياب وهذا كل ما أستطيع تحمل تفقاته. وإن لم تساعدني، فما من طريقة أخرى لأجد رايان.

- إنه حظك السيء.

لبته يستدير إليها فمن المستحيل التحدث إلى ظهر رجل:

- أهذا كل ما تظهره من اهتمام سيد مونتغمري؟ لن تضرك مساعدتي.

- هل تشيرين إلى أنني أكذب؟

- بل أقول إنك تعتمد التحفظ، وما هذا إلا لأنك تبادلته معه. كلمات. تحاول الانتقام مني لأجلها.

- بلغني عنه على أنه مفقود.

- وماذا سيفيدني هذا. سيأتون إلى مزرعتك سائلين، وإذا صعبت عليهم الأمور كما تصعبها عليّ، فلا سبيل أمامهم إلا الرحيل.

ارتفعت كتفاه دليل عدم الاكتراث:

- وهذا أيضاً بسبب حظك السيء.

- أريد أن أعرف فقط ما الذي حصل للرسائل التي بعثناها إليه. أكان يعيش هنا بعد انتقاله من شفته في أوكلاند؟
التفت إليها مرة أخرى ببطء... هي لم تشاهد قط رجلاً له كبرياؤه وعجرفته، وعدائته التي تظهره، وكأنه بكرة العالم كله:
- لم يبق هنا قط. ولا أعلم ما جرى لرسائلك. ربما وصلت في الوقت الذي... الوقت الذي...
وصمت قليلاً، ثم أردف بتطلع إليها:
-... الذي ترك فيه الخدمة عندي.
- ولماذا ترك؟
انفضت عندما صفق قبضته في راحة يده الأخرى:
- لأنه يحب حياته!
كان في لهجته حقد دفين جعل رأس ماندي يرتد إلى الوراء عجباً ورعباً:
- وهل هدته؟
رد متصلاً:
- لا رغبة لدي في بحث أمر رايان شيلتون... أرجوك اذهبي من هنا! ليس لدي ما أقوله لك.
ولم تكن ماندي تنوي الانصياع له:
- أنت على ما يبدو تخفي عني معلومات تفيدني... فلماذا؟
التوت شفاهه مكشراً عن أسنانه:
- أيدهشك إن قلت لك إن السبب هو عدم رغبتي في تخيب أوهامك؟
- حسناً... ليس أخي قديساً إذن. ولا أعرف شيئاً عن هذا.
فأنا لم أره منذ أن كنت في الرابعة عشر من عمري، وهو يكبرني بعشر سنوات، ولم يكن لي شأن كبير معه.

- لماذا تلاحقني الآن إذن؟
- لأنه من تبقى لي من عائلتي. منذ أشهر مات والدائي اللذان كانا بنويان المجيء إلى هنا حالما يتقاعد أبوي، ولكن لسوء الحظ أصيبا بحادث سيارة مفاجئ.
ولم تستطع إخفاء الأسى والتهديج عن صوتها. مع أنها لم تكن تتوقع العطف منه، ولا هي تلقته.
- وهكذا فكرت في أن تنضمي إلى أخيك الحبيب؟ أقبلي نصيحتي آنسة شيلتون وعودي فوراً... فما من أحد يحمل اسمكم مرحب به.
- لا يجوز أن تأخذني بجزيرة أخي مهما كان مقدار ذنبه. لبتك تتعاون معي فقط. أعطني فكرة فقط عن المكان الذي تظن أنه فيه.
وسألحق به. فأكبره البقاء في مزرعتك ككركك لبقائي فيها.
- أقول للمرة الأخيرة إنه ليس عندي فكرة عن مكان أخيك... ولا أرغب في أن أعرف... ولو عرفت لقتلته!
جعلها الحقد الدفين في لهجته تشق وترتد إلى الوراء فنظر إليها بيرود:
- تبدين دهشة... ألم تري من قبل رجلاً يغلي قلبه كراهية؟
- لا أظنه ارتكب جريمة كبيرة إلى هذا الحد حتى يغلي صدرك بهذا الحقد كله. لقد مضت مستان؟ أنت رجل قاس سيد مونتغمري... لذا اعتقد أن أخي كان تائفاً إلى ترك خدمتك بمقدار توفك إلى الخلاص منه.
كانت الحرارة في صوته بارزة:
- أوه... لقد كان في غاية التوق، فحين يطلق أحدهم النار عليك، لن تقفي لتجادليه.
ارتعدت ماندي:

- أ تقول إنه هرب منك لأن سلاحك كان منصوباً إليه؟

- صحيح! وأنت غير مرحب بك كما لم يكن مرحباً به. لا أريد أن تكون لي صلة مع أي فرد من أفراد عائلة شيلتون، لأن فمي يمثلني فيها كلما ذكرت اسمهم.

كانت قيل قليل قليل تنضج عرقاً. أما الآن فهي تحس بالبرد وقلوبها يتسارع، وساقاها وهتان وهتا غير عادي. يجب أن تبلغ الشرطة. فلا يحق لأحد أن يرفع سلاحاً في وجه أي إنسان! هذا الرجل خطير. مجنون! وصاحت بصوت مرتفع:

- سيد مونغمري لقد جعلتني أكثر تصميماً على البقاء رحيب بي أم لم ترحب. فأنا أنوي الوصول إلى أعماق ما تقول. فأنت مجنون! لا يمكنك فعل هذا بالناس، إنه ضد القانون.

- حين تصبحين خائفة على حياتك، لا تفكرين كثيراً في ما إذا كان الأمر قانونياً.

- أكان يهدد حياتك؟

قفز نحوها بحركة وحشية فكان أن رأت للمرة الأولى وجهه كاملاً. سمعته يصيح:

- بل فعل أكثر من التهديد. لقد فعل هذا!

وأدار لها فكه. فارتدت مرتعبة حين شاهدت ندبة جرح بشعة تقطع خده.

- رايان. فعل. هذا.

خرجت كلماتها منحنجرة كالبيكاه، فالتوت شفتاه وأمسك بيدها فجأة:

- شعرت بالنفور، أليس كذلك؟

ووضع أصابعها على الجرح حتى تلمس الخط المجوف الخشن الذي يقطع فكه، وأكمل بوحشية:

- ما رأيك بالعيش مع هذا؟ ما رأيك أن نحملني هذه الوصمة إلى آخر عمرك. أما زلت دهشة من كرهه له؟

شحب وجه ماندي وحاولت التراجع. قضمك بصوت عميق غير مستساغ.

- جعلك جرحي تشعرين بالسقم؟ فماذا عن شعوري أنا؟ أتعرفين ما فعله هذا بحياتي؟

هزت رأسها والغثيان يتصاعد إلى حلقها، حتى أصبحت غير قادرة على الابتلاع، بل لقد أشاحت عينيها المدعورتين عن الجرح الذي تشعر به تحت أصابعها المرتجفة. لكنها تمكنت أخيراً من التمتع متلعثمة:

- لم أكن أعرف...

صاح بها:

- بكل تأكيد. وما أنت الآن لا تطيقين مجرد النظر إلي. ما من امرأة تحب أن ترى رجلاً مشوهاً. ما من امرأة تطيق أن المسها.

اليس هذا صحيح؟

ترك يدها فجأة ثم أمسك وجهها بين أصابعه القاسية، وأجبرها على النظر إليه، ومع أنها أبعدت عينيها عن الجرح إلا أن للنظرة التي تطل من عينيها توقع نفسه.

أغمضت عينيها، وهي تعلم ماذا سيفعل، فمع أنها لم تعد ترى نظراته القاسية، أو جرحه الكريه، إلا أنها لم تستطع السكوت فحاولت المقاومة متجاهلة عناقه الذي كان يؤثر فيها بطريقة لم تتوقعها. كان في عناقه ما أشار إلى أن نساء كثيرات مردن في حياته. لكنها وجدته رغم غضبه وعدائته رجلاً رائعاً جذاباً.

إن هذا لجنون، لا مسب أو دافع وراءه، لكنه واقع. كانت تستجيب إليه كما لم تستجب لرجل في حياتها. وهذا الاكتشاف

أوهن مقاومتها، وحين أبعدا عنه أخيراً كان في عينيه تحد.
- والآن.. أفهمت الآن سبب رفضي وجودك.. لقد أعدت
إلي الذكرى.. الأمر اللعين كله. وكأنما كنت بحاجة إلى من
يذكرني! وكأنما لم أعان ما يكفي!
صاحت ماندي:

- يا إلهي ما هذا الشعور بالأمس الذي تحس به؟ وكيف لي أن
أعرف؟ أخبرني.. هلا أخبرني؟
هز رأسه وصاح:
- أغري عن وجهي.
- ليس قبل أن تخبرني عما حدث. أنت على الأقل مدين لي
بذلك.

ابتعد عنها وجلس خلف طاووته:

- مدّ أخوك الشرير يده على أموالي... لقد عرض علي بكل
لطف مساعدتي في الحسابات التي تراكمت علي، لكنه راح يملأ
جيوبه. وحين عرفت، واجهته فأنكر. وعندما قلت إنني سأستدعي
محاسباً قانونياً للتدقيق في الحسابات أظهر شره... كنا معاً على
ظهور الخيل، ندرب حصانين من جياذ خيولي.. وما إن أصبح
حديثنا نقاشاً حاداً حتى ترجلت عن ظهر الحصان واقترحت عليه أن
يحذو حلوي.. وقلت له إنه إذا أصلح ما أفسده ورد لي مالي،
فلن أقوم بشيء ضده إلا أن هذا لم يناسبه، ففقد أعصابه تماماً
ووجه حصانه إلي وكان حصانه متوحشاً. فما أن صاح به وضربه
هائلاً لجامه، يدفعه نحوي حتى خسرت أي فرصة للنجاة. ولو
تحطمت ضلوعك من قبل تحت حوافر جواد، أو نهشم وجهك
لعرفت ما أشعر به من مرارة. كنت أعلم أنه سيبحث جواده أكثر
فأكثر ليدوسني حتى الموت. ولم يكن بيدي حيلة.

وضعت ماندي يدها على فمها وهي تصفي إليه.. كيف لرايان
أن يرتكب جرمًا كهذا؟ ما الذي دعاه بحق الله؟
- لكن الحظ حالفني فقد وصل ماكس الذي أخرج بندقيته وقتل
الجواد وليته قتل رايان عوضاً عنه.
- ثم ماذا؟

لم يكن بحاجة لإثبات قصته، فالجرح على وجهه خير دليل.
- حين ثيقن ماكس من أنني ما زلت حياً كان رايان قد رحل،
بعد أن قتل أفضل جيادي، وبعد أن اختلس ألوف الدولارات فهل
فهمت الآن لماذا أحرّم ذكر اسمه هنا؟ ولماذا أرفض أن تكوني في
مزرعتي؟ هيا اخرجي من هنا حالا.

وضع رأسه بين يديه، وانحنت كتفاه، فعرفت ماندي أن ما من
قول أمامها لتقوله. وما من مجال لإصلاح الغلط أو الأذى الذي
ارتكبه أخوها. فحمدت الله لأن والديها مانا قبل أن يعرفا حقيقة
الابن الذي كانا فخوريين به.. كانا بظنانه رجلاً ناجحاً.
توجهت ببطء نحو الباب.. تتساءل عما ستفعل.

يجب أن تجد عملاً.. تدخر منه ما تستطيع لمتابعة البحث عن
رايان.. أو للعودة إلى وطنها. فليس معها إلا القليل من المال
الذي أنفقته على الجنائز والسفر. وكانت قد صدمت حين اكتشفت
أن والديها ما أمنا على حياتهما أما منزلهم الذي لم يكن ملكاً لهم،
فلا نتيجة منه كذلك.

كانت قد أصبحت خارج الباب حين أوقفها صوته الأجنس
مطالباً:

- آنسة شيلتون!

التفتت إليه، فعلمت من خلال أساريره أنه لن يعجبها قوله:
- لقد قررت أن أضع على عاتقك تسديد ديون أخيك. سنبتقن

في مزرعتي حتى تعمل في فيها إلى أن تسددي ما اعتبره دين أخيك .
 - وهل تقصد أن أعمل دون مقابل؟
 إن الرجل مجنون... معنوه دون شك، فقد أثرت الحادثة على ما يبدو على عقله.
 - هذا أقل ما يمكنك فعله. اسمعي يا هذه أنا بحاجة الآن إلى مدبرة منزل وطاهية. فإن استخدمتك وفرت على نفسي مشكلة الإعلان.
 - طاهية؟ لكن سيد مونتغمري... أنا لست بارعة في أعمال البيت؟
 - النساء جميعهن يعرفن الطهو. ولقد اعترفت أنك بحاجة إلى سقف بأوليك، وبذلك نحل مشكلتي ومشكلتك.
 - وهل نسيت أن وجودي سيذكرك دوماً بأخي؟
 - لا... لم أنس... لكنني أأمل أن تخفف رؤيتك لتعديسين الممرارة والألم عن نفسي.
 - أرفض أن أصغي إلى جثثك.
 وابتعدت عنه وتوجهت إلى الباب، لكنه ركض خلفها وأمسك بذراعها وجرها ليعيدها إلى الغرفة. فصاحت به:
 - أنت مجنون... لا يمكنك فعل هذا... لن أسمح لك!
 - ليس أمامك خيار آخر. واعلمي أنك لن تبعدني كثيراً وإن حاولت الهرب... فكما لاحظت المكان معزول كل العزلة. نظرت إليه بعداء، مشتعلة العينين غضباً:
 - أنتسوي احتجاجي هنا؟ أي نوع من الرجال أنت سيد مونتغمري؟ ربما لم يكن أخي مخطئاً حين هاجمك. كيف لي أن أعرف إن كان اتهامك باطلاً؟ فأنت لست عادلاً معي.
 - ولن أكون... ليتني لم أراه قط... لكنك مستغين بالمراد.

ارتجفت مائدي من جراء قساوة كلماته لكنها ردت بشجاعة:
 - أنت لا تخيفني سيد مونتغمري... وما من طريقة لاحتجاجي هنا رغم إرادتي... سأتصل بالشرطة. أخبرني، هل أنتم جميعاً متوحشون؟
 - إذا كنت تجددين وسائلتي غير طبيعية فلا تلومي سوى أخيك.
 كنت أفتخر دوماً بعدالتي.
 - وهل تحاول الانتقام من أي شخص بسبب ما أصاب وجهك؟
 التوت شفتاه بيسمة غير مرحة:
 - أنت قطرة نارية متوحشة... هذا عظيم... فستحتاجين إلى هذه الروح النارية، صدقيني، لأنني سأجعلك تعانين كما جعلني أخوك أعاني.
 - أيها الخنزير! لن تفعل بي هذا ولن أسمع لك به!
 وانطلقت ثانية نحو الباب وفتحته، تنظر إلى غرانت مونتغمري نظرة غاضبة. إلا أن عجوزاً سد عليها مبيلى الخروج... فوقفت مسخرة.
 - آه... ماكس... لقد وافقت الآنسة شيلتون مشكورة على القيام بمهام مدبرة المنزل. فهلاً أرشدتها إلى غرفتها.
 بدت الدهشة على ماكس، لكنه ثقل الموقف دون استيضاح:
 - على الرحب والسعة آنسة... سيسعد العمال الطعام الجديد.
 لم ألق سوى التذمر والتأفف منذ أن توليت الطهو بنفسي.
 - لكنني لست طاهية ماهرة كذلك.
 - لن تكوني أسوأ مني.
 ثم راففها حتى وصلا أمام باب مقفل:
 - ستكون هذه غرفتك... أحشى أنها بقيت على حالها منذ رحيل السيدة كيلي... فلا يملك أي منا الوقت لتنظيف الغرف.

- أفهم من هذا أن السيد مونتغمري غير متزوج؟
وحين لم تلتق الرد التفتت إليه فإذا الكهل قد رحل. فصنفت
الباب غاضبة... من يحسب غرات مونتغمري نفسه بالضبط؟ لا
يستطيع فعل هذا بها... لن تتركه يفعل!

فتحت الباب بجنون... ستقول له رأيها به وبوظيفته... لكنها
تسمرت في مكانها وهي تراه بشحمه ولحمه أمامها، حاملاً حقائبها
التي سارع إلى وضعها في الغرفة:

- سيد مونتغمري...

- ليس على العشاء إلا أنا وماكس، لكن على الفطور ثمة
ثمانية أشخاص غيرنا... فالرجال يصلون باكراً ويتوقعون تناول
وجبة جيدة بعد عمل دام ساعتين في الصباح الباكر. وهم يتناولون
الغداء هنا أيضاً، لكنهم طبعاً، يذهبون ليلاً إلى منازلهم.

لم تحاول إخفاء مخربتها:

- طبعاً... لكنني لن أبقي... فأنا أرفض أن ترهني!

- اسمعي فما أراه يظهر أن لا فرصة أخرى أمامك، فليس هناك
من مكان قد تذهبين إليه.

- ربما ليس في هذه اللحظة، لكن حين أسترده قواي، وأنخفي
ضعفي، سيد مونتغمري... فسأرحل من هنا.

- لا تحاولي، صديقي... لأنك ستتمنين لو امتنعت عن فعلك
ذاك.

جلست على حافة السرير غاضبة، غصياً لم يحدث أن شعرت
بمثله قط في حياتها... لكنها متعبة كذلك، متعبة جداً، فليس لديها
قوة تجعلها قادرة على ترتيب فراشها أو ارتداء ثيابها فما بالك
بإعداد الطعام.

ماندي فتاة مقاتلة، وإذا ظن أنه قادر على إركاعها فهو

مخطيء... ربما لم يكن الطبخ ورعاية المنزل على لائحة الوظائف
التي فكرت فيها، لكنها دون شك ستجح، وليس أمامها حالياً
خيار آخر.

وقفت باندفاع حيوي مفاجيء، لتوضب ثيابها فوجدت شراشف
نظيفة للسرير في الغرفة المجاورة، بعد ذلك استحممت وغبرت
ملابسها وارتدت فستاناً قطنياً، ثم سرحت شعرها وعقدته في
مؤخرة عنقها بشريط طويل من القماش.

وجدت المطبخ دون صعوبة، كان كبيراً وفيه وسائل راحة
حديثة، مع أنه كان في تلك اللحظات أغبر ومسخاً غير مرتب.
وجدت مبدعة كبيرة وراء الباب، فارتدتها وشرعت تغسل
الصحون، وسرعان ما أصبح المطبخ نظيفاً.

وجدت في البراد لحماً وفي وعاء خارج الباب بعض
البطاطا... ستقلي اللحم والبطاطا.

ما إن انتهى إعداد الطعام، حتى ظهر الرجلان وكأنما ظهورهما
كان بفعل ماحر. ابتسم ماكس، فتغصن وجهه بالآف التجاعيد وهو
يرى الطعام... أما غرات مونتغمري فلم يظهر تأثراً يذكر بل جلس
ليأكل برزانة، وحالما أنهى عشاءه اختفى.

أحست ماندي بالصدمة... إذ كان عليه على الأقل أن يشكرها!
بعد أن نظقت المطبخ ثابته عادت إلى غرفتها، وما إن لامس رأسها
الوسادة حتى غفت في نوم عميق.

استيقظت على قرع عنب على الباب... لم تستطع لحظة أن
تتذكر أين هي... فكل ما حولها من جدران بيضاء فشراشف وردية
إلى أثاث خشبي غير مألوف بالنسبة لها.

سرعان ما كسر صوت مألوف تقريباً السحر حولها راداً إليها
الذاكرة:

- هل أدخل عليك لاوقفك؟

تأوهت ماندي وقد تذكرت أن عليها إعداد الفطور لعمال غرانت مونتغمري، وبما أنها لا تريد أن يشمت بها إذا ما فشلت في مهمتها. فقد قررت أن تنجح بأي ثمن. نظرت إلى ساعتها فإذا هي قد تجاوزت الثامنة: - أنا قادمة (قالت شائعة).

هبت من السرير ودنت من النافذة قرأت حقائق غناء فيها أشجار نخيل وصنوبر مختلفة الأنواع وفيها أزهار متعددة الألوان أكثر مما يقدر أن يتصور إنسان وهناك نافورة ماء دائرية تحافظ على اخضرار المروج، وفي نهاية الحديقة بركة سباحة! ما إن رأتها حتى قررت أن تسبح فيها بعد أن تنتهي عملها. أما الآن فعليها الإسراع في ارتداء ملابسها للبدء بالعمل.

ستحتاج بالطبع إلى قواها جميعها. وهذا الصباح الجميل لم يشط من عزيمتها، ومع أنها لم تستعد إشراقها بعد إلا أنها أفضل حالاً مما كانت عليه ليلة أمس. والبقاء مع غرانت مونتغمري سيكون معركة مستمرة مستمتع بها، رغم بربريته في صلب جام غضبه عليها.

كان المطبخ فارغاً، فحمدت الله، لأنها تصورت أن غرانت سيكون منتظراً، تعلو وجهه نقطة سوداء تشير إلى أنه يريد أن يعرف سبب تأخرها. كانت تعرف أن عليها إعداد ثمانية أفراد جائعة فسارعت إلى تحضير شرائح لحم، وعدد كبير من النقانق المقطع، وبيضتين لكل منهم، إضافة إلى طنجرة من الفاصوليا وكومة خبز مقلي. ولم يكن لديها أية فكرة عما يأكله الرجال عادة، لكن لا بأس على ما تعتقد بفطور انكليزي تقليدي. كان في طرف المطبخ، طاولة خشبية مستطيلة بُنيت على

جانبيها مقعدان خشبيان، وضعت عليها السكاكين والشوك. وما إن نضج الطعام حتى كان الرجال هناك. يرمقون جسدها النحيل الجميل برضى واستحسان لا سيما منه خصرها العالي وفتحة باقتها الواسعة. أما غرانت فكان آخر الواصلين، وقد رمقها ببرود وهو يترأس الطاولة، ولم تسمع منه إلا كلمة «شكراً» وذلك بعد أن وضعت أمامه صحناً.

أخذت ماندي تتأمله عن كثب من موقعها في طرف المطبخ. كان يرتدي تي شيرت سوداء، أظهرته شريراً أكثر من ذي قبل. كان له رشاقة الفهود السوداء ووحشية حيوانات الغابة. وكان يجب أن تكون عيناه خضراوين بدلاً من لونهما الأسود، لتكتمل صورة الفهد الأسود في ناظريها.

بعد أن أنهى الرجال وجبتهم، وشربوا ليرث من الشاي الذي حضرت له ثم أسود ثقيلًا. خرجوا من المطبخ، وبقي غرانت مونتغمري الذي أشعل سيكارة رقيقاً وشرع ينفث دخانه بكثافة، ويحلق فيها بعينه السوداء.

- يعتبر طعامك أجود بكثير من طعام ماكس.

نظرت إليه وهي تبعد الأطباق الوسخة.

- وهل يفترض أن أعتبر كلامك إطراء.

- ليس من عاداتي الإطراء. فإن أي امرأة ستكون أبرع من

ماكس في الطهو.

تمتمت بحق:

- كان يجب أن أعرف هذا.

لكنه سمعها فقست ملامحه:

- أحلرك أنسة شيلتون. إن معظم رجالي متزوجون، لذا لا

أريد أية مشكلة في هذا السياق. فقد رأيت الطريقة التي يرمقونك

- إنها الطريقة التي ينظر بها أي رجل إلى أية امرأة، إلا إذا كان قد قُدَّ من حجر. أنت نفسك حياتك الخاصة، تبعد عنك الناس. لكن إذا ظننت أنك قادر على صب إحيائك في نفسي فقد أعطت لأنني قوية وقادرة على التعامل مع الرجال.. وهذا ما يجب أن أكون عليه.

- هذا يعني، أنك واجهت شخصيات ليس لديها ذوق. نظرت إليه بسخرية:

- هذا ما نود أن نعتقد أنك. لكنك مخطئة.. فانا أنكلم عن العمل.. لأنني مهندسة الكترونيات.. وقد عانيت الأمرين حتى أكون مقبولة في هذا الوسط!

تسللت عيناه إلى جسدها بدءاً من كاحلها انتهاءً ببشرتها العارية عند الوسط.. ما إن وصلت عيناه إلى وجهها حتى كانت نبضاتها تنفص بطريقة لم تستطع معها السيطرة على نفسها.. مما اضطرها إلى التساؤل بينها وبين نفسها كم من الوقت مضى عليه منذ أن رأى امرأة؟

- الكترونيات.. هه؟ لقد أدهشتني!

- صحيح؟ لكن ليس لك أن تحشر أنفك في مؤهلاتي كما لا شأن لك في أن تحدد طريقة نظر الرجال إلي.. فلن أمكث هنا وقتاً يتسع لأحدهم فيه التقرب مني.

اشتدت خطوط وجهه وبرزت عظام فكبه. وعلى الرغم من عدائتها له وجدت نفسها منجذبة إليه، فتذكرت ثانية تلك المشاعر التي أحست بها حين لامسها، كما تذكرت تجاوب جسدها لعناقه الذي كان يريد من خلاله الانتقام منها.

وقال مهدداً:

- ستبقى هنا ما دمت أريد ذلك، إياك ونسيان هذا أبداً. فلن أتارك ترحلين.

- لكنني حرة سيد مونتغمري.. عندما أهبط نفسي سأرحل شئت ذلك أم أبيت.

كانت ابتسامته مريرة، فتساءلت متعجبة كيف لرجل كهذا أن يجلبها:

- لن يساعدك أحد. لقد تأكدت من هذا بنفسي.. أما الوصول إلى أقرب بلدة فمستحيل لأن المسافة بعيدة، ولا أظن أن فتاة ضعيفة مثلك قد تجتازها سيراً.

ردت بجمود:

- تظن أن النساء ضعيفات عاجزات. لكنني أعلمك سيد مونتغمري، أنني متى صممت على رأي أنفذه!

اتسعت ابتسامته تكشف عن أسنان بيضاء تتناقض مع أسمراره، فتمنت عندها لو هشمها له الجواد.

وقال ببرود:

- آتسة شيلتون.. وأنا لا أعدل عن رأي اتخذته أبداً

- إذن ستكون معركة إرادة.. قد أكون امرأة، لكنني قطعاً لست عاجزة. وأنا مؤمنة بالمساواة بين الجنسين. وصدقني أنني لن أكون الخامسة.

دفع نفسه ليقف:

- أمر مشير للاهتمام! يجب أن أعترف أنك تتقيلين الوضع أفضل مما توقعت.

سمحت لنفسها بالابتسام:

- لا تحكم على الكتاب من عنوانه أبداً.. غرانت مونتغمري!

والآن إذا كنت لا تمنع، أخرج من المطبخ لأنني عملي.

وجدت صعوبة في التنفس فوجوده يكاد يكتسب عليها أنفاسها.
وأحست في الوقت نفسه بالانجذاب إليه. . . كان جزء منها يريد
منها أن ترحل والجزء الثاني يود بقاءها ليعرف بالضبط نفسية هذا
الرجل الغريب.

* * *

٢ - نيران تشعلها أنامل

بعد مضي يومين على العمل في المزرعة، بدأت ماندي تعناد
على ما حولها. لم تكن تجد وقتاً لنفسها ومع ذلك وجدت أن
العمل أكثر متعة مما توقعت. كان المنزل يشير الإعجاب، فهو متعة
للعين، خال من الشوائب، لكل غرفة من الغرف الست حمام
خاص، ملحق بها. لم تكن تفضي أكثر من دقائق في ترتيبها لأن
معظمها خال، إذ لم يكن هناك من يشغلها إلا هي وغرات. أما
ماكس فكان له جناحه الخاص المبني وراء المنزل، وكان يعتني به
بنفسه.

لم تكن ماندي تشاهد غرات كثيراً إلا أثناء وجبات الطعام
حيث كان ينظر إلى تصرفاتها نظرة صارمة وذلك خشية أن تصادق
أحد الرجال. . . وكان بعد وجبة العشاء يختفي عادة في مكتبته،
ويبقى فيها حتى ساعات الفجر الأولى وكان رغم نومه المتأخر
يستيقظ في الخامسة. ولقد تعجبت من قدرته على الحفاظ على
هذا التوقيت الصارم.

في اليوم الثالث قررت أن تحقق ما وعدت نفسها به من
السباحة في البركة. فقد أنهت عملها وأمامها ساعة قبل البدء
بتحضير وجبة المساء.

ارتدت ثوب سباحة قرمزي اللون أظهر بشكل رائع كمال

أطرافها الطويلة وشموخ جسدها. لم تكن تخشى أن تصطدم بأحد الرجال لأنهم جميعاً يعملون بعيداً عن المنزل. ومع ذلك وضعت منشفة على كتفها احتياطاً، فما زال تحذير غرانت يطن في أذنيها. سبحت حتى أرغقتها المياه، فاستلقت مسترخية على أحد المقاعد الطويلة البراقة وسرعان ما جف جسدها فوضعت زيتاً لغلي عنه حرارة الشمس التي هي في هذه البلاد أقوى بكثير من شمس بلادها. ثم عادت للاستلقاء على بطنها مغمضة العينين، تفكر في أن الحياة على هذا النحو ليست سيئة.

تعلم أنه سيأتي الوقت الذي ستحتاج فيه إلى كسب بعض المال وذلك حين تصرف ما بقي في حوزتها من مال قليل، تكن حتى ذاك الحين لا يمكن أن تفكر إلا بالسعادة التي تشعر بها وهي تقضي وقتها في هذا المكان خاصة حين يتعد الكريه الخلق غرانت مونتغمري عن ناظرها.

قد يكون غرانت مونتغمري رب عمل صارم... لكنه كما يبدو يعامل رجاله معاملة عادلة، فهم يحترمونه. وما من أحد منهم كان ميسر في العمل لولا معاملته الحسنة.

انتفضت ماندي فجأة وذلك حين سمعت صوت غرانت يقول بخشونة:

- لا أذكر أنني أذنت لك باستخدام البركة. من المفترض أن تعمل!

اضجعت على ظهرها، ووضعت يدها على عينيها ترددهم الشمس. كان يقف أمامها بعداء شديد، جذاباً إلى أقصى الحدود. لكن هذا لا يعني أنها ستفقد عقلها من أجله! كبرت بصعوبة أعصابها:

- لقد أنهيت أعمالي.

لكن غرانت مونتغمري أثار ارتباكها دون أن يحاول حتى. فهي كلما رآته تقفز غريزياً إلى حالة الدفاع عن النفس. وفي هذه اللحظة، وهو يتهمها باستغلال وقت العمل لصالحها، تحس بالإثارة أكثر من أي وقت مضى.

- لكنني واثق كل الثقة بأن هناك أشياء أخرى تستطيع القيام بها، فلم تكن السيدة كيبي تتوقف أبداً عن العمل، أتودين القول إنك أكفأ منها؟

جلست... تحديق فيه بعداء:

- هذا ما يبدو... أفلو فتشت البيت لما وجدت فيه ما يقتضي أقل ترتيب أو توضيب.

كيف يجرؤ على توجيه هذا الكلام إليها؟ قال ببرود:

- سأقوم بهذا فعلاً إلا أن ذلك لا يعطيك الحق في استخدام البركة بغير إذن.

رفعت رأسها بخيلاء وقالت بمعجرفة:

- أنت فعلاً أبغض رجل عرفته في حياتي! ما خطبك...؟ ألا تحب أن يشاركك أحد في ما تملكه؟ ما الضرر الذي قد أصيبه لك؟ لا أحد حتى أنت يستخدمها وهذا مخجل، فكيف تهمل بركة كهله.

- لو كان عندي الوقت الكافي، لأمضيت فيها اليوم كله. لكن، كما لاحظت لدينا عمل نقوم به هنا. وهو لا يترك لنا وقتاً للتكامل في بركة مباحة.

- إذن، يجب عليك تنظيم وقتك بشكل أفضل. لقد احتجت إلى يومين فقط حتى أعتاد على نظام العمل... وأنا أنوي استخدام البركة يوماً بعد الظهر، هذا طبعاً بعد إذنك. لماذا لا تنضم إلي؟ ضاقت عيناه حتى ما عاد يبدو منها إلا أهداب سوداء تكاد

تلتصق ببعضها بعضاً، والتوت شفتاه دلائل نفاذ صبر.
- النساء في عُرْفِي.. لا يتقدمن أبداً بمثل هذه الدعوة.
أحاولين الالتفاف حولي؟
صاحت به:

- وكأنما أجزؤ على هذا!
- اصنعي معي معروفاً واغربي عن وجهي.. فلدي الآن رغبة
في استخدام البركة.. لكن وحدي.
ردت بنعومة:

- لا تفلقي! لن أزعجك. فأنا راضية بالاستلقاء تحت أشعة
الشمس.
قال بسخرية:

- لماذا؟ حتى تحترقي. ظهرك أحمر كالشمندر وسيلملك ألماً
ميرحاً غداً.

عادت يهدوء إلى الاستلقاء على ظهرها وأغمضت عينيها:
- إذن سأحفظ واجهتي.

من يظن نفسه؟ كيف يحاول أن يبعدها عما تريد؟ يجب أن
يعرف أنه اختار الشخص غير المناسب لممارسة عليه سلطته. فلقد
تعلمت أن العمل في عالم الرجال يعني أن تكون المرأة خشنة
ومصممة، وأن لا تدع أحداً يؤثر فيها.

ساد صمت قصير، فتحت بعده عينيها فإذا به قد ذهب.. وهذا
انتصار جانبي. وهي المرة الأولى التي تنتصر فيها امرأة عليه كما
يبدو.

واسترخت مرة أخرى، تصفي إلى تغاريد الطيور الصادرة على
رؤوس الأشجار... التفت بها حناجر غناء متعددة: زقزقة عصافير
وقوقاة دجاجية وصراخ صغير مدوي... فراحت تتساءل كم من

الوقت ستحتاج حتى تميز الأصوات المختلفة.
استلقت عشر دقائق كاملة ساهمة. ثم دخلت المنزل الذي
أحسنت فيه بالبرودة بعد حرارة الشمس، فاستحمت بماء بارد مدة
طويلة. لكن ما أزعجها أن غرائث على حق وأن ظهرها أصبح
أحمر كعرق الدبك، فطكت بمرهم خاص لمعالجة حروق الشمس،
لكنه بقي يحرقها بشدة حتى بعد أن قصدت المطبخ لتحضير وجبة
العشاء.

كانت قد تصادقت مع ماكس، فقد وجدت صداقته أسهل بكثير
من صداقة مالك المنزل العدواني، وقد أعجب العجوز بصحبته
واعترف لها أنه دهش حين علم أن غرائث شغلها عنده مدبرة منزل.
لكنه أبدى استياءه عندما عرف أنه لن يدفع لها أجرها:
- قال إن هذا واجبي.. فأنا القريبة الوحيدة لأخي. لذا يجب
أن أدفع ديونه.

سخر ماكس حائقاً:

- كيف يفكر في مثل هذا؟ لقد أصبح رجلاً صعب المراس منذ
الحادثة. لكنني لن أوافق على هذا. فإذا ضايقتك كثيراً أخبريني
لأتحدث إليه.

هزت مائدي رأسها فتبسم بثقة:

- أحسن بالسعادة، عوضاً عن الضيق.. فهذا منزل جميل..
ولقد أحببته. لكن لا تخبره بهذا، فقد يبعدني عنه.

تحدث الرجلان وقت العشاء عن أسطبل جديد بنوي غرائث
بناؤه. كانت وجهة نظر العجوز تختلف عن وجهة نظر غرائث، وما
أدهش مائدي أنه رغم شدة تعلقه برأيه، وافق على وجهة نظر
العجوز.

حل الظلام تلك الليلة بسرعة غريبة، فلم يدم الغروب أكثر من

نصف ساعة، ومع ذلك بقي الطقس حاراً... بعد أن اغسلت خرجت لشمس في حديقة جميلة يحافظ على انضوارها ري الرشاشات الدائرية الدائم. وكان فيها أزهار طائر الفردوس الذي تتعدد في الزهرة الواحدة ألوان كثيرة، وهذا النوع من الأزهار ذو رؤوس زرقاء ذهبية تشبه رأس العصفور، وهناك زهرة الراعي الحمراء الأكبر حجماً مما تعرفه، كما هناك الورود على مختلف أنواعها. أما النباتات التي تزهر عادة في مواسم مختلفة، فازهرت هنا دفعة واحدة، إنها فعلاً أرض العجائب التي لا تصدق.

عندما سمعت صوت خرير المياه في البركة، توجهت نحوها فإذا بها ترى غرائث في هذه اللحظة يخرج من الماء. خطفت قوة جسده المليء بالعصلات أنفاسها. فلم تكن في جسده منطقة يزيد فيها الشحم ولو قليلاً. وقفت أمامه عاجزة عن إشاحة بصرها عنه. هز رأسه مبعداً عنه الماء وهو لا يحس بأن هناك من يراقبه، فلمع رذاذ الماء بألف لون ولون تحت الأضواء. وأخيراً شاهدتها تقف فقال بصوت أجش:

- أذهبي من هنا!

- لماذا؟

- لأنني لا أريدك هنا. أليس هذا بسبب كاف؟

هزت كتفيها ودنت منه خطوات قليلات.

- إنها ليلة جميلة... ولا ألومك إن رغبت في السباحة. فأنت

تعمل جاهداً.

- وهل هذا شأنك؟

- لا أعتقد.

ودنت منه أكثر فأكثر... لكن ما إن اقتربت حتى فهمت عدم رغبته في أن تراه. لقد كان صدره مضطرباً بأثار جروح غير معقولة.

وهذا مثال آخر للعذاب الذي تلقاه على يد أخيها!

أغمضت عينيها تهز رأسها بألم... وتضاعدت حشرجة إلى

حلقها حتى كادت لا تستطيع ابتلاع ريقها، وقالت بصعوبة:

- لم أكن أعلم... أسفة جداً.

صاح بها:

- ملعون الأسف! وربما من الأفضل أن تنظري. أنت تعرفين

الآن بالضبط من هو أخوك؟

أمسك كتفيها بأصابع فولاذية فهزها بغضب، وأجبرها على

النظر إلى جسده المشوه، كما أجبرها من قبل على ملامسة

وجهه... فقالت بهدوء:

- لا أستطيع أن أفهم تصرفات أخي... أنا حقاً لا أفهم...

ولبت هناك ما أستطيع قوله. إلا أن القول يقف أمام فعله الرهيب.

- أنت على حق. إنه رهيب ولعين! ولقد كنت أعين الناس

لأنني استخدمت رايان. كان ذا طباع ملتفة، لا يظهرها. فهل

لديك طباع ملتفة أنسة شيلتون؟

أبعدت مائدي وجهها عن الدليل الدامع ونظرت إلى وجهه،

فأرعبها ما رأت فيه من وحشية، وأجابت بصدق:

- ما كنت أعرف أن لي طباعاً حتى وصلت إلى مزرعتك...

فما من أحد من قبل كلمني بالطريقة التي تكلمني فيها. لكن إذا

كان هذا يواسيك، فسأعترف لك بأنني أفهم جيداً سبب تهجمك

علي. وأعتقد أنه يجب علي الرحيل، فليس سهلاً ما عانيت منه.

صاح بها غاضباً:

- اصبرتي بحق الله! إذا ظننت أن تلاعبك بعواطفني قد يجعلني

أتركك، فأنت مخجلة... أصبحت رعائتك للمنزلة أمراً جديداً غير

مألوف هنا. وأرى أنك تتمتعين به، لكن صدقيني، متعتك لن

تدوم. وبصبح عملك حملاً ثقيلاً على كاهلك، وعندها ستبدئين بدفع ديون شقيقك، وستشتاقين للخروج إلى مقابلة الناس وإلى الخروج عوضاً عن بقائك في المنزل والاكتفاء برؤيتي.
- أو نسيت وجود ماكس والرجال؟ إن الصبغة لا تنقصني.
- أنت الآن أبعد من مثال أي منهم باستثناء ماكس. أما ماكس فمعجوز لا يشكل خطراً.
- وهل تظنني أهوى صبغة الرجال؟ إذا كان هذا ما تعتقده فانسه.

كان كلامها بارداً حازماً، فارتفع حاجباه بسخريّة:
- أنلمحين إلى أنك لا تهتمين أبداً بالجنس الآخر؟ وإلى أنك إحدى هؤلاء النسوة العاملات اللواتي يضعن مستقبلهن العملي على أي شيء آخر سواه؟ لست من النوع الذي يبدو عالساً.
- ما عرفت أن هناك نوعاً محدداً. وأنا واثقة بأن ما من امرأة قد تبقى دون زواج باختيارها. ولا أشك إلا أنني في يوم ما سأزوج وأنسيء عائلتي، لكن هذا اليوم لم يحن أوانه بعد، لأنني لم أقابل حتى الآن رجلاً أحس بأنني لا أستطيع أن أعيش بدونيه، فمعظم الرجال يسعون وراء أمر واحد... وهذا بالنسبة لي غير وارد.

كشّر عن أسنانه ساخراً:
- الآنني الفاضلة؟ لا أصدق هذا ببساطة.
نظر إليها طويلاً قبل أن يمد يده ليمسك خصرها بيد ويدس الأخرى تحت شعرها الكثيف، مانعاً عنها أي مجال للهروب. ضمها إليه عامداً ومع أن عقلها كان غاضباً إلا أن من المستحيل عليها أن تمنع أحاسيسها من التحرك.
وبدأت يده تستكشفان عنقها إلى كتفيها، فخصرها حيث شدها

ثانية إليه. كانت بشرتها حساسة تؤلمها بسبب حروق الشمس إلا أن نار الرغبة كانت تلسع أعصابها، فتجاهلت الحروق الأولى، غير راغبة إلا في الالتصاق به، وفي غرس أصابعها في شعره الكثيف الأسود، لتشعر برأسه تحت راحة يدها.
لكن تعقلها قال لها إن هذا هو بالذات ما يتوقعه منها، ويجب أن تتحرر منه قبل أن تفقد السيطرة على ذاتها، فما كان منها إلا أن قاومته بعنف ولده اليأس.

تركها على مضض، فلاحظت تحت الأضواء الاصطناعية أن وجهه شاحب، وأن خطوط الأكم تشق زاويتي فكه وفمه.
سرعان ما فهمت معاناته فقد حسبها تبعد نفسها عنه استمرازاً منه. فقالت تدافع أسفة:
- آلمت ظهري الذي حرقته أشعة الشمس.
- عذر مقنع!

حرق فيها غاضباً ثم توجه نحو المنزل.
راقبته مائلي بحزن... إنه بندوب أم بغيرها رجلاً ملؤه الحيوية والرجولة، رجل لم تقابل من هو نظير له قط. كان يجاوبها غير إرادي وها أعصابها ما زالت متوترة دون أن تعرف السبب. عادت إلى غرفتها فجلست قرب النافذة تراقب السماء المرصعة بالنجوم. وتصفي إلى صرير صراصير الحصاد الذي لا يتوقف على أشجار الصنوبر.

ليست أفكارها هادئة كما الليل. فلقد أزعجتها ردة فعل غرات. فعلى كتفيه عبء كبير أثقل من عبء الحطب، وهي لم تساعد على التخفيف من وطأته أبداً.
تذكرت رايان قبل عشر سنوات لم يكن رفيقاً لها يومذاك بل كان يستخدمها، لتحمل أغراضه ولتجلبها له، وكان يمازحها

بإزعاج لا يرحم، لكنها لا تذكر أنه كان حقوداً. ربما كان، بطريقة
الخاصة بحبها، لكنه كان منحفظاً، وحين هاجر لم تفتقد كثيراً.
أزعجت أفكارها طرقه على باب غرفتها. وقبل أن ترد افتتح
الباب مدفوعاً ودخل غرائث مونتغمري. فقفر قلبها خشية لدى
رؤيته. لكن يجب أن تقني قلبها، وتنسى جاذبيته، وتنسى أنه
أول من جعلها تحس بأنها أنثى.

- كيف تدخل علي دون أن أذن لك؟

- أحمل إليك مرهماً لحروق الشمس. إنه تركيبة خاصة
لتخفيف الألم. اخلمي قميصك لأدلك ظهرك.

حدقت فيه دهشة، ونبضات قلبها تضج. أمن الغضب، أم من
الإثارة التي ولدتها لمسات هذا الرجل على جسدها أكثر من مرة؟
- لديك بعض الوقاحة! لكنني أقدر لك حسن ظنك بي...
وسأفعل هذا بنفسني. شكراً لك.

ومدت له يدها. فابتسم.

- لا تكوني مترمة. فلن أمتعل وضعك. فلقد أثبت رأيي
فيك... تعالي. فصبري بدأ يتفد.

تمتمت حائفة:

- هذا إذا كان لديك صبر أصلاً.

ونزعت القميص القطني ثم أعطته ظهرها على مضض. ما إن
لامس المرهم البارد بشرتها حتى انتفضت. كانت تسمع تهديج
أنفاسه الحادة فعلمت أنه يفكر... يا الله... كم يسهل إغضابه. لكن
لا جدوى من أن تقول إنها لم تعن شيئاً بحركتها اللا إرادية
تلك... قال لها:

- إذا كنت تريدني أن أقوم بعملتي كما يجب، فابقي جامدة،
أرجوك! فليس بالأمر العجيب أو الجديد لي أن أرى جسد امرأة.

وهذا لا يعني لي شيئاً.

سألته بصوت أجش:

- أعتقد أنك في يوم من الأيام كنت تجد صعوبة في صد
النساء عنك؟

ما عادت مهتمة بإيلامه فقد آلمها بكلامه، ومن الطبيعي أن
ترد. جمدت يدها على ظهرها، وأحست بالتوتر بجناحه. وشاهدت
لهيب الألم في عينيه وذلك من خلال انعكاس صورته على المرأة
أمامها... لكنه أجاب بتوتر:

- كان لدي حصة لا بأس بها.

- وأصبحت الآن متبعا ضئلاً؟

- أجل... وما فائدة العكس؟

- أظنك تقسو على نفسك من غير داع. فأنت لا تعطي نفسك
فرصة. هل خرجت مع أي فتاة منذ... منذ الحادثة؟

كانت تعلم أنها تتحدى غضبه، لكن ما الذي ستخسره؟

- لست مضطراً لهذا. أعرف.

آلمتها أصابعه على ظهرها، وعلمت أنه لا يحس بأنه يؤلمها.
كانت تحس بضغط كل أصبع على حدة وعلمت أن أصابعه ستترك
آثارها على ظهرها في الغد. وأجابت:

- أنت لا تعرف شيئاً. هذا كله من وحي مخيلتك.

التقت عيونهما عبر المرأة.

- من وحي مخيلتي؟ انتظري إلي... وقولي لي... هل أتخيل ما
فعله أخوك بي، يا الله! لئنه هنا الآن!

تحركت أصابعه من ظهرها إلى عنقها ليضغط عليه بوحشية
فجائية.

- كنت سأقتله!

أحسنت بضربات قلبه الوحشية وبحرارة جسده. فخافلت وحاولت مقاومته لتحترق نفسها صارخة:

- أنت مريض! فلا تضع اللوم كله عليه، لا أظنه كان يقصد أن يفعل بك هذا كله.

- صحيح؟.. أهذا كل ما تعرفينه؟ ماذا يتوقع المرء من خريج السجون.

- ماذا تعني بخريج السجون؟

أحسنت وكان شيئاً يحطم صدرها، ويجبر الهواء على الخروج من رئتيها. أدارها غرانت نحوه:

- لم تكن هي المرة الأولى التي يقع فيها في المتاعب.. وكنت أعلم هذا حين وظفته، ومع ذلك كنت مستعداً لمنحه فرصة وكانت هذه أكبر خطيئة ارتكبتها في حياتي.
- أنت تكذب!

راح كل عرق في جسد ماندي يتفص، واندفع الدم وتجمع في رأسها، حتى شعرت بأنها ستفقد الوعي.. رايان مجرم؟ هذا مستحيل! هناك خطأ ما دون شك.

- بل صحيح.. وإذا كنت تصوريه قديماً فستواجهين صدمة كبرى، لأن لائحة اتهاماته بطول ذراعك. المرة الأخيرة التي دخل فيها السجن كان قبل أن أتخذه عاملاً عندي. فبعد أن أمضى فيه ستة أشهر رفض الجميع توظيفه.

حذقت ماندي فيه بعينين معذبين. وكانت المرة الأولى التي تحس فيها بالامتنان للزاعية اللتين تمسكان بها، فقد كانت على وشك الانهيار، وقالت بصوت مختنق:

- لن أصدقك.. لن أصدق!

لكن الافتناع كان بعيداً عن صوتها!

- ليس أمامك خيار آخر.

- ليس رايان.. ليس أخي.. لن يفعل هذا..

صمتت بعد أن تذكرت شيئاً خيراً منذ سنوات طويلة وبدا ذا معنى الآن.

يومذاك لم تكن قد تجاوزت الخامسة من عمرها، لكنها تذكرت الوجه الأحمر المكتنز لشرطي طرق باب منزلهم. وفنذاك جرت أحاديث كثيرة متجهمة، بعدها طرد رايان مدة طويلة.. وحين كانت تسأل عنه كان يطالعهها الصمت، ولا ترى إلا عيني أمها حمراوين من أثر البكاء.. ونسيت هذا كله فيما بعد.. ولم تذكره إلا الآن.

قطع صوت غرانت الساخر الأجش عليها أفكارها:

- هل تعيدين النظر؟

- بل تذكرت أمراً.

- وهل جعلك هذا تظنين أن الموقف محتمل؟

- وماذا ارتكبت في تلك العرات التي زج نفسه فيها بالمشاكل؟

- كان يسرق ويختلس، على نطاق ضيق عادة، من رب عمله.

إنه شاب فاسد دون أدنى شك. ثم أر في حياتي مجنوناً مثله. لقد دفع «سلاوتون» الجواد الأسود نحوي بجنون رهيب. فنسف بذلك

الفرصة الأخيرة التي كان يتمتع بها. أما الآن فأصبح اسمه على

اللائحة السوداء. إن وضعت يدي عليه..

نظر إليها فجأة وأدرك أنها ما زالت دون قميص، فقال بخشونة

يبعدها عنه:

- ارتدي قميصك.

لم تكن وقتذاك مهتمة بما إذا كان يراها مرغوبة أم لا.

فأفكارها كانت مع رايان، أخوها مجرم! إنها لا تطبق التفكير في

هذا. وهي نحمد الله لأن والديها ماتا قبل أن يكتشفا فعاله. لقد كان يكتب لهم رسائل مبهجة، يتجسس بها بمدى نجاحه. ولم يشك أحد منهم في أنه بدأ فعلاً بداية جديدة، ولا بد أن رسائله توقفت حين كان في السجن... وبعد ذلك خجل أن يرسلهم.

وماذا عنها هي الآن؟ هل متلصقاً وصمة العار بها كذلك؟ يعتقد غرانت مونتغمري أن عليها تسديد ديون أخيها... والموقف كله غريب.

قالت مخطوفة الأنفاس، مضطربة في محاولة منها للسيطرة على مشاعرها:

- يجب أن أجيد رايان... يجب أن أكلمه... إنه بحاجة للمساعدة.

- المساعدة؟ لقد تجاوز مرحلة المساعدة. منحه أعظم فرصة عرضت عليه على وجه البسيطة... وماذا فعل؟ لقد كان يتقاضى أجراً محترماً، ولم يكن بحاجة للسرقة. مشكلته معاقرة الخمر ومعاشرته النساء.

- لكنني أريد أن أجده مهما كان الثمن فيجب على الأقل أن يعرف بموت والديه.

رق وجهه ثانية بل جزءاً منها:

- كان مونتغمري شديد الوقع عليك. وما أنت الآن تكتشفين أن أخاك ليس طيباً؟ ليست الحياة بمنصفة، هو كل ما تبقى لك من العائلة؟

- كان كل من والدي ووالدتي وحيد أهله. وهما لم يرزقا إلا أنا ورايان... أعتقد أن لنا أقباء بعيدين في مكان ما لكنني لا أعرف شيئاً عنهم... وأنا أريد رايان. عاد وجهه للانقباض:

- وأنا كذلك أريده. إن بحثك عنه لفكرة صائبة. فإذا وجدته أحضره لي.

- لماذا؟ الترتل به عقابك الخاص؟ لا... شكراً لك! إذا وجدته فاسمعي جهدي لثلاث نوا.

- لا أظن أن لديك أملاً في إيجادك. ولا أظنه إلا قد ابتعد كثيراً لثلاث أطاله. ولن أستغرب إذا ما علمت أنه قد غادر البلاد.

- لم تكن مائدي قد فكرت في هذا، فنظرت إلى غرانت بريية: - اوه... ماذا لو عاد إلى الوطن؟ لن أطيق أن أعرف بخبر موت والدينا من غريب.

أمسك بكتفيها دون وحشية هذه المرة:

- حقاً... لا أظنه قد غادر، لأن تذاكر السفر جواً باعظة، وهو

لم يتمكن قط من إخبار مبلغ كهذا... لا... هو ما زال هنا، وأنصحك بأن تنسبه مائدي. فهو لا يستحق أن يضطر عليه قلبك.

كانت هذه المرة الأولى التي يتنادى باسمها، فنظرت إليه بعينين ملوؤهما الألم.

- أأنتيك أخوة أو أخوات سيد مونتغمري؟

هز رأسه نفيًا، فأكملت:

- هذا ما ظننته، لذلك لا أحسبك تشعر بما أشعر. أنت غير إنساني حين يصل الأمر إلى المشاعر. أنت مشغول بالتحسر على ذاك حتى بت لا تفكر في مشاعر الناس.

رد عليها بغضب وقد عادت أصابعه قاسية على كتفيها:

- حين أطلب رأيك أسألك.

انسلت من بين يديه وتمتمت بغيظ:

- أعتقد أنه حان أوان خروجك من غرفتي.

ظهر في عينيه شرٌ أسود وهو يمعن النظر فيها وكأن شيئاً ما

يحثه على وضع أصابعه حول عنقها ليخطف منها حياتها، فهي تذكره بشكل حي بالرجل الذي شوه حياته.
لن يخدم غراتت نفسه باحتجازها هنا، لأنه بذلك يزيد عذاب وبضيه.

ليت هناك طريقة تستطيع من خلالها قطع الاتصال بينهما، لكن ثمة شيء مغناطيسي في نظرتيه إليها، بقي عينيه لعمان مشاعر لم تفهمها. وقد أوقعها تحت سحره وكأنها مربوطة إليه بسلاسل من فولاذ.

فجأة ابتعد عنها، مضموم الشفتين، وقال بهمس بغيط:
- إذا كان ذلك الميل الأرعن لتعقب آثار أخيك يستحوذ عليك فانسي الأمر. فلن تغادري المزرعة حتى أذن لك!
وإذا كان هناك أي شيء قد يدفعها إلى القتال فهو هذا الكلام:
- لا أظنك يا سيد، قد تمنعني إذا ما اتخذت قراري وصممت عليه. لكنني في الوقت الحالي قانعة جداً بالبقاء في مزرعتك.
- ولماذا؟

أخذها على حين غرة بسؤاله هذا، فتساءلت ما إذا كانت تجرؤ على الاعتراف بأنه هو من يجذبها للبقاء؟ إنه رجل فظ، يترصص بها متحيناً الفرصة المناسبة، لكنها أيضاً تتحين الفرصة حتى ترى ما تحت هذه القشرة التي يغلف نفسه بها.
إنها لم تطلب من الرجال حتى الآن أفضليات معينة ولم تتوقع منهم شيئاً. ولهذا احترمتها الرجال الذين عرفوها، إذ كانت معهم على حد التساوي.

لكن ما من طريقة تجعلها متساوية مع غراتت مونتغمري. وهو لا يألو جهده في تأكيد هذا. إنه ينوي أن يخضعها شامت هذا أم أبته... كيف لامرأة أن تنظر إلى رجل مثير مثل غراتت مونتغمري

دون أن تتأثر؟ كان جرحه يزيد جاذبية بدل أن يفرها منه، إذ كان يعطيه مظهر المحارب التاريخي، فيبدو بذلك أقسى وأروع مثلاً للرجولة.

كانت دقات قلبها تنقبض حين تكلمت:

- لديك منزل جميل سيد مونتغمري. لكنني أشعر بأنني معاقبة بجريمة لم أرتكبها. فأنا أشعر بأنني في عطفلة.
رد بحرارة:

- في هذه الحالة. سأفكر في عمل إضافي لك، عمل يشغل ساعات فراغتك، عوضاً عن قضائها في بركتي.
رفعت رأسها تستعد لرمي رد لاذع في وجهه. لكنه كان قد ارتدأ على عقبيه وخرج من الغرفة التي صفق بابها بقوة وراءه.

* * *

رايان رجل عاطل لذا علي نسيانه. لكن الدم لا يتحول إلى ماء..
أنفهمني؟

هز رأسه وهو يعي غليونه بالنع، ثم أشعله ومسحبه منه
أنفاساً عميقة حتى رضي عنه، قال والدخان يغطي وجهه:

- لدي عائلتي، وأنا أحبها أكانت سيئة السيرة أم حسنة. نعم
أفهمك. لكنك تسألين الشخص غير المناسب.. فلا أحد في هذه

المزرعة يستطيع إخبارك عن مكان وجوده.. وليس من الخير
لرايان أن يظهر، فما غرانت الوحيد الذي يطلب دمه، بل كل عامل

في هذه المزرعة أيضاً، ولا أحسبني أتمنى أبداً أن أكون في موقعه.
- وأنا لا أحب أيضاً ما فعله. لكن قد أقدر على مساعدته، فما

عدت شقيقته الصغيرة بل أصبحت امرأة.. وهو بحاجة لمن يهتم
بأمرة، ولمن يرعاه، حتى لا يكرر ما ارتكب من أخطاء.

أطبقت يده الناضجة عرقاً على بدها:
- إنه لا يستحقك ماندي. لو كنت هنا لما حدث ما حدث.

لقد كان مجنوناً.
- ها قد قلتها.. أرايت.

وأمسكت بيده الخشنة بين أصابعها الناعمة متابعه:
- أرجوك ماكس، فكر ملياً، فلا ريب في أن هناك من يعرف

مكانه.
تهدد ماكس بعمق، وتساعدت بسمة حزينة بطيئة إلى فمه.

- سأسأل.. ولن أعذك فمعظم الناس يمتنع عن الانتطرق إلى
هذا الموضوع، فلا يجب أحد التورط.

وكان على ماندي أن تقنع بهذا القدر.
عندما حان وقت الغداء، ظنت ماندي أن غرانت نسي

تهديده... إلا أنها وبينما هي تغير ملابسها استعداداً للذهاب إلى

٣ - بحيرة الأمل

استغلت ماندي الفرصة الأولى التي منحت لها للتحدث إلى
ماكس. كان لديها إحساس بأنه قد يعرف شيئاً عن أخيها، كان
رجلاً نادراً ما يتطوع لإعطاء المعلومات، لكنه كان راغباً في الكلام
حين استدرجته.

غرانت عادة آخر من يغادر مائدة الفطور، لكنه في هذا الصباح
اختفى قبل جميع الرجال، مما سبب ارتفاع حواجب الكثيرين،
وعندما غادروا لم يبق معها إلا المعجوز.

جلست ماندي على المقعد الخشبي بقربه وقالت:
- ماكس.. أين ذهب رايان؟

نظر إليها بسرعة بعينين ذرقاوين شاحبتين وحائزتين في آن:
- ولماذا تحسبيني عارفاً بمكانه؟

- إنه شعور.. فلا بد أن شخصاً ما يعرف.
- منذ أن هرب ما عدنا نعرف عنه شيئاً. أود مساعدتك لكن

كيف أساعدك وأنا لا أعرف شيئاً. أعلم أنه أخاك، لكنه لا
يشبهك، كما لا أشبه أنا غرانت.

ردت بهدوء:
- إذا كنت أختلف عنه فهذا لا يعني أنني أكرهه وقد حاولت أن

أشرح هذا لغرانت لكنه لا يريد الإصغاء بل يقول بشكل متصل إن

البركة سمعت صوته الأجل بناديبها باسمها. فأتجهت نحو مصدر الصوت وإذا به أمام باب مكتبته، يسد المدخل بجسده الضخم، وقد أبعد الجهة المجروحة من وجهه عن نظرها، ولم تكن هي المرة الأولى التي يبعدها وليته لا يفعل.

- أتجيدين الطباعة؟

نظرت إليه ببرود:

- ومتى كانت الطباعة جزءاً من تعليم الهندسة؟

ضابت عيناه بحدة:

- أنا أسألك!

هزت كتفها نظاهر بعدم الاكتراث:

- نعم. أستطيع الطباعة. أعتبرها مهارة مفيدة.

- حسناً. لدي كومة رسائل هنا تحتاج إلى رد...

سأطبعها بنفسى، وقد سجلت الملاحظات على كل واحدة منها. أنظنين أن بإمكانك تحقيق هذا؟

- أستطيع القيام بأي شيء أصمم عليه. لكنني لا أرى سبباً يحدوني إلى القيام بأي عمل لك. لماذا لا تستأجر مكرتيرة؟

- لأنني لا أريد أنثى في المزرعة... وأنت تفهمين السبب طبعاً.

- ثمة رجال يعملون في حقل السكرتاريا. ولا يحق لك أن تلزمي بالعمل وقت راحتي.

- ليس لك عليّ حق. أنت هنا لتنفذي ما أريد، ولتسددي دين رايان. إياك ونسيان هذا أبداً.

أحست بالإشارة تسري في عروقها، إذ كان التوتر بينهما كهربائياً... ربما من جهتها فحسب. راح قلبها يخفق ألماً ومع ذلك قالت له بمرارة:

- ولا تدعني أنسى، هل لك أن ترشدني إلى أوراقك.

تبعته إلى الطاولة الكبيرة القابعة قرب النافذة... كانت الآلة للكتابة جاهزة. ما إن أصبح على مقربة من المكتب حتى راح يشرح لها كل شيء، ثم خرج وتركها وحدها واقفة مترددة تجد صعوبة في تصور أصابع غرائت الضخمة تستخدم هذه المفاتيح الناعمة.

غرائت رجل عملي، يهوى العمل خارج المنزل، فكيف كان يقوم بأعماله المكتبية بنفسه. لا شك في أنه أحس بالراحة حين ساعده رايان... ولكن أخاها للأسف خان الثقة ولولا تلك الخيانة لنجح في عمله وأفاد نفسه.

دهشت لأنها وجدت متعة في الطباعة... فمع أنها كانت تسخر من العمل المكتبي، لأنه رتيب مممل، وجدته اليوم مثيراً للاهتمام... كانت معظم الرسائل طلبات من أشخاص يرغبون في إرسال أفراسهم للاستيلاد.

لكن عملية الاستيلاد كانت دقيقة وصارمة وفي مواعيد محددة. ما من شيء متروك للفرص. كل شيء منظم كل التنظيم. وثمة رسالة يهتته فيها أصحابها على ترويض فرس مشاكسة، ويرفقون انتهته بوعد بالمشاركة بنصف الأرباح إذا كان المهر الذي ستلذه بارعاً في السباق كأمه... وكان رد غرائت أن يرجو إرسال المال إلى مؤسسات خيرية يختارونها بأنفسهم وكرمه هذا أدهش ماندي... ولم تكن الرسائل جميعها تتعلق بالمزرعة بل كان بعضها يختص باستثمارات في أماكن أخرى، أغنام وأبقار، وحصص في مناجم معادن وذذهب، وهذا يعني أنه رجل ثري.

لكن، يبدو أن تربية الخيول تجري في دمه، فهو لا يبدو سعيداً إلا حين يقضي يومه خارجاً. وها هي الآن تراه من النافذة يقود جواداً جميلاً راتماً ألقى عليه السرج، ثم ربطه واعتلى صهوته

وكانه يقوم بهذا العمل منذ ولادته.

انتطلق بالجواد... ومضت بضع دقائق قبل أن تدرك ماندي أنها توقفت عن الطياعة لتصدق فيه. لكن حين عادت إلى عملها اكتشفت أنها ترتجف.

خاب أملها حين عرفت أنها غير قادرة على إنهاء الرسائل قبل وقت العشاء. كانت تود أن تؤثر فيه بكفاءتها. لكنه لن يتأثر بكل تأكيد إذا لم يجد طعاماً أمامه حين ينهي يوم عمله! ألم تقل لها أمها إن أقصر طريق إلى قلب الرجل هو معدته، وأمها كانت طباخة ماهرة، كما تعلم.

حمدت الله لأنها علمتها الطهو وقتونه. ولولا ذلك لما تمكنت من النجاح في العمل الذي وقع فجأة على رأسها. وما توقعت قط أن يتم امتحان قدراتها ومهارتها في الطهو بهذه الطريقة.

بقيت في اليومين التاليين مشغولة كثيراً حتى نسيت التفكير في غرات ورايان وفي أي كان. لكن ذات صباح، جاء ماكس إلى المطبخ الذي كانت تعمل فيه. فنظرت إليه قلقلة تسمع شعرها عن وجهها بظاهريدها. حين رآها تغضن وجهه اللطيف قلقاً: أنت تجهدين نفسك.

- لا أمانع، فالعمل يعنني من التفكير في رايان.

- رغم إعجابي بغرات إلا أنني أراه مجحفاً بحفك لأنه يطلب منك تسديد ديون أخيك بهذه الطريقة. فإن كان أخوك شاباً شريفاً فما شأنك أنت. أعتقد أن عقل غرات قد التوى في نقطة ما لكنك غبية لأنك تستسلمين له. لماذا فعلت هذا؟

- لا أعتقدك ستصدقني إذا قلت لك إنني أمتنع بما أعمل؟

- لن أصدقك.

- لكنها الحقيقة، لن أمتنع بها إلى الأبد بالطبع. لكنني أجده

حالياً عملاً جديداً.

- عملاً جديداً... هه؟ أرى أنك تحاولين أن تثبتي أنه لن يتمكن منك مهما حاول جاهداً.

- أو ما أقصده واضحاً إلى هذا الحد؟ اسمع أيها العزيز لا أحبك جئت إلى المطبخ لتحدثني عن هذا الموضوع... أأنديك أخبار عن رايان؟

كشر ماكس عن أسنانه:

- لدي عنوان امرأة قد تساعدك، وأعتقد أن الأمر جدير بالمحاولة.

عقدت ذراعيها حولها وطبعت قبلة على خده ثم تناولت منه الورقة التي كتب عليها العنوان ودستها في جيبها:

- أحبك ماكس. أنت حبيب!

بدا حرجاً. وقال منجهماً:

- تستحقين هذه الفرصة. لكن أتمنى أن تدركي ما أنت مقبلة عليه، فلو اكتشف غرات أنني أعطيتك العنوان، فسيلخ جلدني حياً.

بقيت ماندي ذاك اليوم تقلب النظر بحثاً عن طريقة ما للخروج من المزرعة. عنوان المرأة هنا في أوكلاند. فما السبيل للوصول؟ ترى أو يصدقها غرات لو قالت له إنها بحاجة لشراء بعض الأغراض، أم يسيء فيها الظن ويعتقدها تسعى للهروب.

بعد الغداء، حين تأخر في المطبخ ليدخن سيكاره كالعادة تقدمت منه، خافقة القلب متضرجة الوجنتين:

- أود الخروج من المزرعة. أريد شراء بعض الأغراض. أحتاج أشياء أشتريها... هل لي أن أمتعير سيارتك؟

رد متصلياً:

- وكيف لي أن أعرف إن كنت ستعودين؟ فقد أفقدك، وأفقد سيارتي.

نظرت إليه ببرود:

- عليك أن تتقبي.

- هذا ما لست مستعداً له.

ابتعدت عنه:

- أنت رجل صعب المراس سيد مونتغمري.

- لأنني أعرف أنك قد تقومين بأي شيء حتى تجدي أخاك...

وأعذارك لا تخدعني.

- البحث عنه في أوكلاهو كالبحث عن ابرة في مخزن قش. لا

أريد إلا أن أشتري حاجياتي.

- في هذه الحالة... سأرافقك بنفسني.

اتسعت عينها لأن هذا يفسد عليها كل خططها. وهو لن

يتركها تغيب عن ناظره، فردت بهدوء:

- لا حاجة لهذا. أعدك بأن أعود.

- وعد من وعود آل شيلتون؟ إما أن أرافقك وإما أن تبقي في

المزرعة. الخيار لك.

- أنا لست كاذبة سيد مونتغمري، لكنك لا تترك لي بديلاً.

قد تتمكن من الزواج منه... يجب أن تعرف مكان تلك الفتاة

حتى تسألها عن مكان رايان، فهي لا تريد أن تتفاهل متوقعة أن

تجده يسكن معها.

قال لها بجفاء:

- فليكن موعدنا غداً. منتطلق حالما ينهي الرجال فطورهم.

أما طعام الغداء فسأتركه لماكس.

لم تشاهده ثانية حتى صباح اليوم التالي عندما أتى يتناول

فطورهم. كانت ترتدي تحت مبدعتها فستاناً قطنياً صيفياً ليموني

اللون يبرز اللون البرونزي الذي اكتسبته... وما إن غادر الرجال

المطبخ حتى سألها كم من الوقت ستحتاج حتى تنهي نفسها.

فخلعت المبدعة وكشفت عن فستانها الجميل:

- أنا جاهزة. أمهلني لحظات حتى أحضر حقبيتي.

عندما ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرأة علمت أنها

أخطأت في رفع شعرها إلى الوراء، فهي بهذا تكشف عن قسم كبير

من عنقها النحيل الجميل، وتبرز جمال جسدها. بعد تفكير أضافت

قرطين ذهبيين لكنها سرعان ما نزعتهم بغضب، فلن يلاحظهما

غرائت، الذي فقد كل اهتمام بالنساء.

كانت سيارته كبيرة فخمة، ذات مقعد واحد قرب السائق.

فسرها وجود مسافة كبيرة بينها وبين هذا الرجل الخطير.

قاد السيارة على الطريق الوعرة دون أن يتكلم أي منهما حتى

وصلا إلى الطريق المعبد السهل. فسألته:

- أخرج دائماً؟

حينما التفت إليها، تأملته، لم يكن وسيماً بكل ما للكلمة من

معنى، له جاذبية قوية لا تنكر... قالت له بعد أن تأخر رده:

- لا تنهض نفسك من أجلي.

- لا تقلقي... لن أجهد نفسي من أجلي. لئني عمل هناك.

وإلا لما سمحت لك بالذهاب.

- أيها الخنزير! لا يحق لك معاقبتي على ما ارتكبه أخي!

رد عليها لبدعها رده:

- لا أدري لماذا أشعر بأنك تتمتعين بهذا. فانا ثم أثلق كلمة

تذمر رغم ما أضعه على عاتقك. ولا أعتقد أن هذا العمل يفوق

طاقتك لأنه لو كان كذلك لأبدت اعتراضك، فما أنت من الذين

يرضخون ويقبلون بأوضاع كهذه وهم صامتون.

نظرت إليه ببرود:

- لا أدري من أين كنت هذا الرأي.

ابتسم دون مرح:

- قد يدهشك ماندي رأيي فيك.

- هلاً تكرمت فأثرت ظلامي.

- لا... فالوقت وحده قادر على أن يثبت من أنت.

سارا مسافة أخرى طويلة بصمت كامل، حاولت ماندي خلالها التركيز على المناظر الطبيعية خارجاً. فهنا أزهار برية وهناك قطعان من العاشية تبحث عن المرعى.

وجدت صعوبة في تركيز اهتمامها على شيء آخر عدا ذلك الرجل القاعد على مقربة منها، فقد كان يحتل أفكارها، وجوده يغلب على أحاسيسها لذلك لم تدهش حين أحست بصعوبة في التنفس.

مألته في محاولة منها لفتح حديث بينهما:

- ألدريك راديو في السيارة؟

مد يده فحرك زراء بعث موسيقى حادة النغمات حبة... فرفع الصوت حتى أصبح الحديث مستحيلاً... وهذا ما لام مزاج ماندي التي كانت بحاجة إلى ما يصد وجوده المدمر عن تفكيرها.

حين اقتربا من ضواحي المدينة، احتاج غرانت إلى تركيزه كله حتى يستطيع تجاوز ازدحام السير الشديد وصولاً إلى المكان المنشود. فأخفض صوت الراديو، وأخذ يتمايل بالسيارة يمناً ويسرى يخرج ويدخل بين السيارات.

حين وصلا إلى المركز التجاري، أصبحت السيارات ملتصقة حتى ظنت ماندي أن ما من أحد يستطيع الخروج بسيارته، لكن

غرانت كان يعرف تماماً المكان الذي يقصده، فما هو إلا وقت قصير حتى أوقف السيارة اثني ترجلا منها.

- إلى أين تودين الذهاب بالضبط؟ أعتقد أن المركز التجاري جيد، فيه ما نحتاجين من أشياء عصرية كما فيه محلات للأثريات والتذكارات.

- أحب التجول قليلاً، فعندما وصلت إلى اوكلاند قصدت شقة رايان القديمة فوراً، ثم ركبت سيارة أجرة إلى مزرعتك. فلم أتمكن بذلك من رؤية معالم المدينة ومن المؤسف ألا أراها الآن.

- أوافقك الرأي، اشترى ما نحتاجين إليه ثم استعدي فسأقوم بنور المرشد السياحي. لكنك لن تستطعي مشاهدة إلا بعض الأماكن، إذ نحتاجين إلى أسبوع كامل حتى نتعرفي إلى معالم المدينة.

وعندما رأته أنه لن يتركها وحدها، خفق قلبها بعنف:

- ألم تقل إن لديك عملاً تقوم به؟

- لذي مشكلة تأمين أود نسويتها، ليس إلا. لك أن ترافقيني

إذا شئت.

- لكنني أفضل أن أنجول وحدي. فلا أتصورك تهوى ما أعوي. أود شراء بعض الأثاث الصيفية والسراويل، ولا أظنك إلا ستما من النظر إلى مثل هذه الأشياء.

- صحيح؟ هل سأضجر ماندي؟ أنت لا تعرفين إلا القليل عني! أظنتي سأجدها مثيرة للاهتمام، خاصة إذا عرضتها أمامي بنفسك.

وضع ذراعه دون كلفة على كتفها، فلما شعرت بالإثارة من لمسها انسحبت منه. ضحك، وكرهته بسبب هذه الضحكة الساخرة... إنه يعرف تماماً ماذا يفعل، والخلاص منه أصعب مما

تجولاً من مخزن إلى مخزن، فاشترت أشياء لا ترغب فيها وكانت في تلك الأثناء بقطعة تنجين الفرصة المناسبة. لكن هذه الفرصة لم تكن إلا حين كانا في شركة التأمين، فقد شرح مشكك للموظف فدعاء إلى الداخل لمقابلة المدير. لكنه التفت إليها: - تعالي... فلن نتأخر.

- سأنتظرك هنا.

لم يكن أمامه ما يستطيع فعله في غرفة مكتظة بالغرباء، لكن عينيه الباردتين القاسيتين حذرتهما دون قيد أو شرط من المتاعب التي ستواجهها إن ذهبت.

سرعان ما ركضت تحتاز الدرج وصولاً إلى الشارع الذي نادى فيه سيارة أجرة، أعطت صاحبها عنوان فاليري تشانوم، وما هي إلا دقائق حتى أوصلها، فنقدته أجرته دون أن تفكر في إمكانية عدم وجود الفتاة.

بعد أن رنت جرس الباب عدة مرات دون أن تتلقى الرد، أخرجت ورقة وقلماً من حقيبتها وكتبت رسالة قصيرة تطلب فيها من الفتاة أن تعلمها بعنوان رايمان إذا كانت تعرفه، ذاكراً أن الاتصال به أمراً مهماً بالنسبة لها. ثم وضعت عنوان غرانت مونغمري وهي على ثقة من أنه لن يفتح رسالتها.

لم يبق أمامها إلا العودة إلى مكتب التأمين، وكلها أمل أن يكون غرانت منتظراً، لكنها لم تجده ولم تتذكر المكان الذي أوقف فيه سيارته... فما كان منها إلا أن اتجهت إلى كاليري الفنون حيث زارت قاعاته المختلفة، ثم جلست فيما بعد في مطعم تستمتع بقطعة كايك وفنجان قهوة... كان المكان غير عادي ومؤثر، فقد صمم كما قيل لها ليتسع لعدة مسارح وقاعات عرض ومطاعم ودور

حينما خرجت منه راحت تتأمل ما يحيط بها... ثم جالت في الشوارع فوجدت نفسها مرة أخرى في المركز التجاري. استطاعت من الناحية الأخرى رؤية مباني المكاتب والبنوك، ومبنى شركة التأمين التي خرجت منها هاربة.

كانت تلوح من بعيد لئلا تشرف على نهر غزير الماء، نردان بحدائق ساحرة. أخيراً قررت أنه حان لها أن تعود إلى المزرعة، وفكرت على مضض في أنها ستصرف ما تبقى لديها من مال على أجرة التاكسي من جديد... وكانت تقف أمام حافة الرصيف، تبحث عن سيارة أجرة فارغة حين علت أصوات إطارات سيارة غرانت الكبيرة وتوقفت أمامها.

صعدت إليها ببساطة تنظر إليه، ولم تدهش من وجهه المتجهم.

- أين ذهبت باله عليك؟

وانطلق ثانية إلى ازدحام السيارات غير عابىء بأبواق السيارات المحذرة من حوله. فهزت كتفها مدعية عدم الاكتراث:

- سئمت الانتظار... فقررت التجول، ذهبت إلى كاليري الفنون ودار الأوبرا التي ستقام فيها حفلة موسيقية الشهر القادم وأود أن أشاهدها.

ظهرت طباعه الشريرة وهو يرد:

- لا ترددي هذه التظاهرات أمامي أعرف أين كنت. إن هذا هو سبب مجيئك إلى هنا. لكنه كان مضيقاً للوقت... لن تجديه هنا، فهو خائف.

صاحت به:

- لم أبحث عنه. هذه هي الحقيقة صدقتني أم لم تصدقني.

ورغم تأكيداتنا لم يصدقها بل نظر إليها نظرة ملؤها الشك.

- ما من سبب آخر يجعلك تهرين.

- المسألة كل المسألة أنني أحب التجول وحدي، لكنني

هريت. كنت على وشك استئجار سيارة تحملني لأعود إلى

المزرعة لكنك وصلت قبلها.

نظر إليها برية:

- اختلفي ما ترهدين من ادعاءات، لكن لا تتوقعي مني أن

أصدقك. حذار يا ماندي فأنا لن أتركك تغيبين عن ناظري ثانية

حتى تسددي دين أخيك.

- وهذا ما لن يحدث أبداً، على ما يبدو. أنا لا أعترض على

العمل عندك وأعترف بهذا، لكنني أعترض على حمزوي كسجينة.

فلا حاجة إلى تدبيرك هذا لأنني لن أهرب.

- إذا سهلت الأمور عليك، فلن يعود هذا عقاباً. أعرف أنك

منى اكتشفت مكان أخيك فستذهبن إلى غير رجعة. أنا أفهمك،

وأفهم أنك تعتبرين منزلي مأوى جيداً لأنه منزل محترم. لكنني

أعلم أنك ستبحثن في الوقت نفسه عن شقيقك. لكن صدقيني لن

تصلي إلى نتيجة.. لن أتركك.. ولن أساعد فرداً من أفراد عائلة

شيلتون.

تطير العداء من عينيها:

- لا يمكنك سوقنا جميعاً بعضاً بعضاً واحدة.

- أنا لا أفعل هذا، إنما أحاول أن أعقلك.

- ولن تنجح في هذا.. إنه أخي الذي لم يبق لي سواه من

عائلتي. وسأسعى حتى أجده.

رد بقسوة:

- لا تنسي أنني أفتش عنه أيضاً وأنت تبحثك هذا تقودينه إلى

حفه.

- إن وجدته أحذره منك. فلن أعرض حياته للخطر. ومن

الأفضل لك إذا التقيتما أن تبحنا الأمور بروية. وأنا واثقة بأن

المصاعب جميعها ستحل.

- أنت لا تعرفين عما تتكلمين. ألم تعترفي أن أخاك غريب

بالنسبة لك؟ فدعيه غريباً لأنني سأعجز عن التحدث بتمدن إلى

شخص حاول قتلي.

- لن نصل بهذا النقاش إلى جدوى تذكر، لذا لن أبحث أمره

معك بعد الآن.

- حسناً أنا موافق وما ذلك إلا لأن اسمه يبعث طعماً كريهاً في

فمي. وكلما قل ذكر اسمه كلما كنت أفضل حالاً.

- في هذه الحالة، ما عليك إلا أن تتجنب رؤيتي، أم أن في

عقلك ما يدفعك إلى أن تراني امرأة رخيصة؟

- لا أعتبرك رخيصة ماندي..

ثم تشعر بالارتياح إلا بعد أن خرجا من المدينة وأصبحا في

الضواحي. فراحت تركز النظر على المناظر الملتفة حولها.. مرا

ببليدات عديدة صغيرة، لكل منها شارعها الرئيسي المكشظ

بالمحلات. عندما لمحت البحيرات الزرقاء سارعت تقول:

- لم أكن أدرك أننا قريبون من البحيرات. هل لك أن ترافقني

إليها؟

- ثمة شاطئ قريب من المزرعة.. سنقصده إذا أحببت.

كان هذا عرضه الأول للصدقة. بدا وكأنه تخطي مزاجه

الأسود.. فابتسمت:

- لا أعرف المكان بالطبع.. لكنني أحب أن أراه.

حينما اقتربا من البحيرات راح يشرح لها أن ساحلها الوعر

مكوّن من صخور بركانية، وأن هناك على شاطئها منحدرات بركانية
كما قال لها إن هناك غابة كثيفة، تشبه الغابات الاستوائية في
وسطها شلالات عظيمة تنحدر من بحيرات تقع في مناطق عالية
وتصب في نهر كبير ثم يكمل طريقه إلى البحر. وإن هذه الغابة
بدون شك جديرة بالزيارة.

لم تصلق ماندي أنه قد يكون معها اجتماعياً إلى هذا الحد،
خاصة بعد الطريقة التي هاجمها فيها لأنها ذهبت وحدها. لكنها من
دون شك عقدت العزم على أن تستفيد قدر الإمكان من هذه
الفرصة.

أوقف سيارته أمام إحدى البحيرات. وقال لها شارحاً:

- مياه البحيرة تمر بذلك الممر الخفي تحت الأرض... وهي
أثناء مرورها ذلك تصدر صوتاً هائلاً... فاستعدي.

وكان صادقاً، فسرعان ما اندفع الماء مرملاً شلالات متدفقة
من قنوات واسعة ارتفعت في الهواء ما يقرب من عشرة أمتار مما
جعل جميع من يقف هناك يشهق إلا غرانت، الذي شاهد المنظر
كثيراً دون شك.

وبينما كانا يتأملان تدفق المياه العنيف تمت لو كان بيدها
كاميرا لتلتقط هذه الظاهرة التي يحدثها تدفق المياه العنيف نحو
البحيرة، والتفتت إليه:

- هذا حقاً لأمر مذهل...

هز رأسه:

- اعتقدت أنه سيعجبك. والآن فلنعد إلى البيت. فقد يقلق
ماكس ويشاءل عما حدث لنا... سنؤجل زيارة الشاطئ إلى يوم
آخر... فلنا أحسن بالجوع فماذا عنك؟
- وأنا كذلك.

ويبقى غرانت على مزاجه الطيب هذا حتى وصلا إلى المزرعة،
وهناك اقترح عليها أن يسبحا أثناء تحضير ماكس الطعام لهما...
أخفت ماندي دهشتها، ثم قصدت غرفتها لترتدي ذاك البيكيني
الذي كانت ترتديه عندما راها للمرة الأولى في البركة.

عندما نزلت وجدت غرانت قد سبقها إلى البركة.

سبحت في الماء بشكل رائع، شاكراً الله لأنها سباحة ماهرة.
كانت مسرورة بالمياه الباردة التي بردت أطرافها الحارة. وكان
غرانت ما يزال على مزاجه غير العادي. أمضيا ثلث ساعة يطاردان
بعضهما بعضاً، ويلهوان كالأطفال... ولم تكن قد شاهدته هكذا من
قبل... فسرّها أنه بدأ يأس بوجودها ويستريح لها بحيث لم يعد
يأبه بجروحه وهذه بداية جيدة.

حين أعلنت عن رغبتها في الخروج من الماء، أمسك كاحلها
ففقدت توازنها ووقعت عليه لأنها لم تكن مستعدة لحركته هذه.
التفت ذراعاه حولها كقضيبين فولاذيين، فما هي إلا لحظة حتى
وجدت نفسها تستدير لتواجهه، ولم يلبث أن جذبها إلى ذراعيه.
ليغوصا إلى عمق البركة وكأنهما حجرتين ثقلين.

لم تكن قد اعتبرت من قبل لذة العناق تحت الماء، كانا
يطوفان في عمق المياه الزرقاء وأذرعهما وميضهما متشابكة.
تسللت أصابعه إلى شعرها الأحمر القاتم الذي حررته من عقده.
قبل أن تبدأ بالسياحة. وأمسك برأسها، ولم تدرك ماندي أنها تكاد
تختنق إلا حين برز رأسهما خارج الماء.

دفعته عنها طلباً لبعض الهواء، فتنشقت رائحة الجو المعطر
بالزهور الفواحة... لكنه لم يسمح لها بأكثر من لحظات، ليعيدها
إلى أحضانها... حملها بين ذراعيه وأخرجها من البركة، فأحست
عندها فقط بالذعر وذلك بعد أن أدركت أن الأمور قد تخرج من

يدها إذا لم تضع حداً لما يجري.. فقاومته بعنف حتى أنزلها.
وحالما تحررت منه، ركضت هاربة نحو المنزل.

وتبعته نغمة غضبه، لكنها لم تدرك أنه يلحق بها حتى وضع
يده الثقيلة على كتفها، ليدبرها نحوه. كانت عيناه تلمعان كعيني
مجنون، وسألها بخشونة:

- لماذا تغيرت فجأة؟ أسبب هذا؟

وفعل ما فعله في اليوم الأول. أدار جرحه نحوها مما اضطرها
إلى تركيز نظرها عليه، ودفع بصدره إلى الأمام:

- أم هذه؟ أهذا صحيح ماندي.. صحيح؟ هل نسيت لحظات
أنني مشوه؟ يا الله! أنت تعرفين كيف توجهين الضربة إلى رجل من
حيث لا يدري!

هزت ماندي رأسها ووجهها يتلوى ألماً وتعاطفاً على هذا
الرجل الذي يقاسي كثيراً وكان جبلاً عظيماً على كاهله. لكن لماذا
يفعل بنفسه هذا كله؟ إن جرحه لا يقلل أبداً من جاذبيته كرجل!
أجابته بهدوء:

- لا يا غرانت.. أنا لا أكاد ألاحظها حتى، وهي لا ترعجني
أبداً أبداً.

- لماذا إذن؟ إذا كنت تتوقعين مني أن أصدق، فقلولي لي لماذا
عاملتني فجأة ببرود؟

- لأنك تخيفني. لقد كنت متوتراً جداً. وأنا خرجت عن
طوري.. أريد أن أساعدك في التغلب على مخاوفك، لكن دون أن
أتورط.

- لا أصدقك. كلامك يبدو مقنعاً، لكنني لست غيباً.

لاحظت العذاب في عينيه فحاولت إقناعه:

- أرجوك غرانت.. ليس الأمر كما تصوره أبداً.

- لا تلمسيني.. وابتعدي عني بالله عليك!

- أنت مخطيء، وقاس على نفسك، أنت ترى جروحك حاجزاً
بينك وبين العالم.. لكنها ليست حاجزاً.. إنها.. لا شيء.

لمعت عيناه بشراسة:

- لا شيء؟ ما كنت لتقولني ذلك لو كنت أنت المصابة بها.
ابتعدي عني حالاً.. ماندي!

وقفت مصممة أمامه:

- لا أستطيع تركك والأسى يجتاح نفسك. أنت لا تعطيني
نفسك فرصة يا غرانت، لا أجذك متفراً.. لا شيء فيك يجعلني
أستمر، لكنك كنت تؤلمني بقوة.. هذا كل شيء، أخف إلى ذلك
أنني لا أسمى إلى علاقة عابرة.

- ومن يعرضها عليك؟ أنا لن أطلب من امرأة أبداً مشاركتي
حياتي، ولو لفترة قصيرة. فهذا ليس عدلاً.

صاحت به تطالبه برد ونبضاتها تتسابق مع بعضها:

- إذن ماذا كنت تريد؟

- كان ما قمت به جنوناً. أنت تعرفين كم تبدين مرغوبة خاصة
في هذا البيكينى السخيف. لم أستطع إبعاد يدي عنك. وما زلت
أريدك. فابتعدي عني، قبل أن أجعل من نفسي مغفلاً بكل ما
للكلمة من معنى.

أحست ماندي بالعذاب لأنها تراه على هذه الحال وتمنت لو أن
بيدها حيلة.

- أنا حقاً أقول. فلا أكاد أرى جروحك. صدقني إنها الحقيقة
غرانت. يجب أن تصدقني. أنت..

وانخفض صوته حتى بات همساً:

- لم يؤثر في رجل كما تؤثر أنت في.

كان اعترافها صعباً، لكن إذا كان سيساعد، فهو يستحق الإحراج. لكنه قال ساخراً:

- الكلام سهل. لكن عندما يحق الحق تبدو الحقيقة. لا تنكري أن بشرتك تنقلص حين ألمسك، رفضتني مرتين... فإذا لم تخبرني ردة فعلك هذه عن مشاعرك فلن يخبرني شيء آخر. هزت رأسها بائسة:

- لقد فهمت كل شيء خطأ غرانت، إن عقدة النقص هي التي تفعل بك هذا... عانقني الآن لأثبت لك كلامي.

نظر إليها من عينيه السوداوين القاسيتين نظرة إدانة: - لن تثبتي شيئاً... لقد أخطأت وأنا نادم، فلنترك الأمر هكذا.

أحست ماندي أنها تلقت ضربة على معدتها... فنظرت إلى مؤنبة:

- إذا كان هذا فعلاً ما تريد.

وارتدت على عقيها متجهة إلى الداخل.

لم تكن وجبة العشاء سهلة، واغتبطت ماندي عندما انتهت منها، نظر ماكس إليهما بفضول دون أن يسأل شيئاً. لم تكن قد قابلت رجلاً من قبل بهذا المراس الصعب... وتساءلت عما إذا كان سيتجاوز يوماً ألم جرحه... نعم هي تعلم أن أخاها الفاعل، لكن اللوم لا يقع على عاتقها هي.

لم تشاهده خلال الأيام التالية كثيراً، وكان يبقيا مشغولة دائماً إذ كان يوكل إليها أعمالاً غير ضرورية ومع ذلك لم تتدمر. فقد كانت بحاجة إلى أي شيء تشغل به وقتها... لكنها شعرت بعد أن راح الوقت يمضي باليأس من استلام أية رسالة من فاليري تشانوم إلا إذا كان غرانت قد استلمها ومنعها عنها.

أخبرت ماكس عما جرى في المركز التجاري وضحك كثيراً. - هذا عظيم ماندي! لكنك بذلك دفعته إلى أن يزيد الرقابة عليك. لا أدري ماذا دهاه... لم أعرفه متعصباً ضد أي شيء هكذا من قبل.

- إنه يريد أن يحقق مبتغاه. لكنني ناجحة بما أقوم من أعمال مكتبية.

- أو لست السكرتاريا عملك؟

- ألم يخبرك أنني مهندسة؟

ارتفعت عيناه دهشاً:

- أتصلحين الماكينات، وأشياء كهذه؟

- ليس تماماً، بل أعمل في الحقل الإلكتروني... في حفل المبيعات في الواقع... لكنني تدرت كأني مهندس آخر.

- أليس اختصاصك خاص بالرجال وغير جدير بالنساء.

- هذا ما يقوله الجميع... لكن لماذا لا تقوم به المرأة؟ فأنا بارعة في عملي أكثر من بعض الرجال.

- أنت إحدى النساء المتحررات إذن؟ ولا أستطيع القول إنني أوافقك الرأي.

ضحكت ماندي:

- أعتقد أن زوجتك لم تقم بشيء آخر غير رعايتك ورعاية أولادك.

- هذا صحيح. ليس على النساء القيام بعمل آخر.

- قل لي... أكان غرانت مختلفاً... قبل الحادثة؟

نغضن وجهه من جديد وأصبح فيه آلاف الخطوط:

- لا أعتقده يختلف كثيراً. في بعض المناسبات حين يذكر له أحدهم اسم رايان يصبح رجلاً صعباً. وعندها فقط أبعد عنه. لم

يكن له قط هذا المزاج الأسود.

لم يظهر غرائث في الصباح التالي على مائدة الفطور، بل كان في مكتبته ينتظرها ومزاجه شرير. وما إن وصلت إلى الطاولة جرد مد يده إلى مغلف وهزه بعنف أمامها:

- لماذا تراسلك فاليري تشاتووم؟

- كيف تجرؤ على فض رسالتي؟ أعطني الرسالة!

لكنه أبعد الرسالة عنها عنوة:

- لم أفضها ماندي، لكنني أعرف خط فاليري.

ضاعت عيناها:

- أنت؟ ظننتها صديقة أخي!

رد بخشونة:

- لقد نقلت عاطفتها إليه. كنا قبل الحادثة على وشك إعلان

الخطوبة. أنصديقين هذا؟ لكن عندما كنت في المستشفى ووجهي وجسدي مضمندان بالأربطة، أطلقت ضربتها قائلة: «إنها لن تتحمل الزواج من رجل مشوه... وداعاً غرائث... وأسفة لك... لكن...»

والتوت شفتاه بازدراره.

* * *

٤ - جراح لا تندمل

انكسرت ماندي من نظرة الكراهية التي علت وجه غرائث، وأحست بأن قلبها يكاد يشوقف، ثم راحت نبضاته تتضاعف وتتضاعف:

- ما كنت أعلم... لم يقل لي ماكس إن...

- ماكس؟ ما شأنه بهذا؟ أهو من كتب لك عنوان فاليري؟

أطرقت ماندي برأسها وقد أدركت أنها تكلمت أكثر مما يجب.

ولينها لم تذكر العجوز لثلا تورطه في متاعب هو يغنى عنها. ترى

أعلا ما عناه ماكس حين قال إن غرائث ميسلخه حياً؟

- سأله أن يساعدني على إيجاد رايان... ولقد تفهم الوضع

الذي لم تفهمه أنت. لذلك قال لي بأن فاليري تشاتووم قد تقيديني.

- هكذا إذن؟ يبدو أن ماكس كان يعرف أنها كانت تعبت مع

رايان في الوقت الذي تلاعبت فيه على مشاعري، لكنه خاف أن

يخبرني ما هو واضح للعيان. لكن كيف يسمع لنفسه أن يعطيك

العنوان؟

- ما اعتقدك ستعرف. ولو عرفت أنك متغضب لما...

- لست غاضباً... لأنني لا أكن تلك المرأة إلا الكراهية.

فهنيئاً لرايان تلك المرأة التي لا اعتقدها باقية عليه ولا اعتقده باقية

عليها أيضاً لأنه يخشى أن اتصل بها فأعرف مكان اختيائه. ربما

وجدت كبش الفداء حين اكتشفت أنها لن تستطيع الزواج مني
لكنني أشك في أن يكون ذلك قد دام... أقصدت منزلها عنده
فمرت ذاك النهار؟

- أجل... لكنني لم أكذب حين قلت إنني لم أكن أحاول
التفتيش عن رايان.

- لكنك بطريقة غير مباشرة كنت تسعى إليه... لماذا لا
تنهين رسالتها وتنهي عذابنا؟

تناولت المغلف منه وقلبه بين يديها:

- إذا كنت لا تمنع. أود قراءتها وحدي.

اشتعلت عيناه كجمرتين وهاجتي وقال حانقاً:

- بل أمانع... فمن حقّي أن أعرف مكانه كما ستعرفين أنت.

- لماذا؟ حتى تصل إليه أولاً؟ لا... إنه أخي، وأنا أريد
قضاء بعض الوقت معه، لا أن أزوره في السجن... سأقرأ الرسالة
فيما بعد.

دست الرسالة في جيب سروالها، فقفز من مكانه واندفع
عاصفاً نحوها.

- أحترم إرادتك... لكن صدقيني سأعرف ما فيها بطريقة أو
بأخرى. حتى ولو كان هذا يعني الاتصال بـ"اليري" وهذا ما يخشاه
أخوك على ما اعتقد.

إنها إذن، المرأة التي طعنت قلبه... فماذا حدث يا ترى؟

قالت بقوة:

- لا أهتم بما تفعل. دعني فقط أقرأ الرسالة وحدي... إن
كانت تجهل مكانه أخبرك. وإن كانت تعرفه فما من قوة على وجه
البسطة قد تنتزع هذا مني.

ارتد عنها بصمت عدائي، وخرج من الغرفة... فجلست ماندي

إلى الطاولة وفضت الرسالة التي راحت تقرأها.
«عزيزتي الآنسة شيلتون:

«لقد دهشت حين تلقيت رسالتك لأنني لم أكن أعرف أن
لرايان شقيقة، إذ لم يبحث معي يوماً حياته في انكلترا. وما زادني
دهشة معرفتي بأنك تعيشين في منزل غرانت مونتغمري الذي
اعتقدته قد يستقبل أي إنسان في هذا العالم إلا أنت. فكيف
تحمليين النظر إليه؟

راسلت رايان وأخبرته عن وجودك هنا، لكنه رد علي قائلاً إنه
لا يريد أن يراك فهو يخشى أن تقودي غرانت إليه، فالرجلان غير
متحابين، كما تعلمين. وهو يقترح عليك العودة إلى انكلترا ويطلب
منك أن تنسي أن لك أخاً.

المخلصة... فاليري نشاتوم»

قرأت ماندي الرسالة عدة مرات، إنها مخيبة للأمل... لكنها
رفضت أن تصدق أن رايان لم يرغب في رؤيتها... كان يجب أن
تؤكد له أن مكان وجوده سيبقى في الكتمان معها كما كان عليها أن
تؤكد له أنها لن تعود إلى موطنها قبل أن تراه! فهي تريد أن تقول
له إن والديهما ماتا... في حادث مريع... الأمر خاص وسري
يصعب عليها ويؤلمها كتابته في رسالة.

فكرت في الاتصال بـ"اليري"، لكنها لم تجد اسمها في دليل
الهاتف، وما عاد أمامها إلا زيارتها ثانية... لكن هذا أمر صعب.
لذا ليس عليها إلا أن تكتب رسالة وتطلب من ماكس أو من أحد
العمال وضعها في البريد.

لكن قبل أن تتحرك من مكانها عاد غرانت يفتحهم عليها
الغرفة:

- ماذا تقول في رسالتها ماندي؟

وانتزع منها الرسالة وقرأها بسرعة ثم رماها إليها:

- أصبح لدي على الأقل دليل الآن، أشكر لك عونك ماندي.

فسعت إليه تتبعه إلى فناء المنزل الخارجي:

- غرانت ماذا ستفعل؟ لن تذهب إلى فاليري... لن تجربها

على أن تبوح لك بمكان رايان، دعني أراه أولاً. أريد أن أخبره عن

موت أبويننا. أعلم أنك إذا وصلت إليه قبلي ستقتله وعندها لن

أسامحك أبداً... وسأدعو الله أن أراك في الجحيم!

- أولم يضعني أخوك في الجحيم بعد؟ إنه يستحق كل عقوبة.

أخذت تضرب صدره بقبضتها:

- يا الله كم أكرهك! لم ألتق قط برجل له قساوتك هذه...

كيف تفعل بي هذا أنت غير إنساني؟

- لم يجعلني رجلاً شريراً إلا أخوك... لقد انتظرت طويلاً حتى

أضغ يدني عليه، ولن أتركه يهرب ثانية... لكن...

نظر إليها برية:

- أظنتي سأتركك تقومين بهذا العمل القذر عني... فليس لدي

ميل لرؤية فاليري، لأنني قد أقتلها كذلك... اذهبي لرؤيتها وخذي

منها عنوان رايان، وتحديني إليه وبعد ذلك...

- نقتحم علينا المكان لنقتله؟ أظنتني أفودك إليه؟

- إذا كنت تريد أن رؤيته فما من طريقة أخرى، واعلمي أنك لن

تستطيعي الخروج من منزلي إلا بإذني.

التمتع الغضب في عينيها الخضراوين:

- أنت كره لا تطلق!

ابتسم:

- إنه ليس الاسم الوحيد الذي دعيت به... فما هو رذك

ماندي؟

- أنت تعلم أن ردي واحد، لأنني أريد رؤية رايان.

قال بصوت لا يترك مجالاً للرفض:

- إذن سنذهب لرؤية فاليري الآن.

- قد لا نجدها في منزلها كما حدث عندما زرناها في بيتنا.

أعمل؟

- فاليري تعمل؟ إنها سيدة كسول، هيّا بنا إن لم تكن في

المنزل تنتظرها.

لكن فاليري كانت في المنزل. صعدت ماندي إلى منزلها وبقي

غرانت في السيارة منتظراً.

كانت الفتاة التي فتحت الباب كما تصورتها ماندي تماماً، وقد

نجا غرانت من برائتها بأعجوبة. فهي لن تكون يوماً زوجة صالحة

لزمراغ.

- أنا ماندي شيلتون.

بدت الدهشة على المرأة:

- لم تصيحي أي وقت على ما أرى، تفضلني هل غرانت

موتغمري معك.

- إنه ينتظر في السيارة... أظنك تعرفين سبب مجيئي إلى هنا؟

تصلبت عينا المرأة وقست تعابير وجهها ثم تكلمت بصوت

متوتر:

- كيف حاله؟ لقد مضى على رؤيتي له سنتان كاملتان.

ردت ماندي بمرارة واتهام:

- منذ الحادثة...

- أرى أنه وجد لنفسه نصيراً... إن هذا لمؤثراً يبدو أنه

أخبرك قصتي.

ردت عليها بغضب:

- إن ما فعلته به أمر ظالم.

- إنه كبير وقوي قادر على الاعتناء بنفسه. ولا أعتقد أن مع النساء كانت تنقصه. ولا أظنه تغير... أظنك وقعت في حبه؟ ليس هناك مقياس للذوق. أنت تخبين الرجال القساء، أليس كذلك؟ أنا فلن أستطيع الارتباط برجل مشوه.

- جرحه ليس ميثاً إلى هذا الحد. وهذا ما كنت ستكتشفينه تريث قليلاً.

- لا أحتمل الأمراض، حسناً كفانا كلاماً عن غرائك... أظنك تريدان رؤية رايان؟ أنت تضعين وقتك ومدى. يقول إنه لا يعرف سبب مجيئك إلى أوكلاند. ومع ذلك لا يريد رؤيتك.

- ثمة ما أريد أن أطلع عليه... أرجوك... الأمر مهم.

ردت الفتاة بمرارة:

- أنت لن تخدعيني، أعرف لماذا تريدان رؤيته... أنت تفعلين هذا من أجل غرائك الذي دفعك إلى هذا... أليس كذلك؟

- هذا غير صحيح، أعرف مشاعر مونغمري، لكنني لن أكتشف له عن مكان أخي. أحب رايان، ولأنني أحبه تريثي هنا الآن... ويجب أن أراه.

سألت الشقراء بسخرية:

- ولماذا؟ لماذا يصبح الأمر مهماً فجأة؟

- هذا شأني... الأمر خاص. لماذا لا ترشدني إلى مكانه؟

- أنظني غيباً للبقاء هنا؟ أنا لم أشاهده شخصياً منذ سنة.

- ألم تنجح الأمور بينكما؟

- ما كنت أريد أن تدوم علاقتي به. لقد ساعدته حين هرب، لكنني أهوى الرجال الأثرياء. ورايان لن يتمكن من الحفاظ على

المستوى الذي أريد.

- ومع ذلك تخليت عن غرائك؟

ردت بلهجة شريرة كريهة:

- أحبهم أغنياء وسيمين. أريد حين أكون مع رجل أن تنظر إلي النساء بحسد، لا بشفقة.

أشفقت ماندي على غرائك في هذه اللحظات، فلا عجب أن تعمل قلبه المرارة. ولا عجب أن يرفض النساء وينحيهن عن حياته!

- ما جئت لأبحث أمر غرائك معك... أريد معرفة عنوان أخي.

- سأراسله وأعلمه بأن لديك أمراً مهماً تريدان إطلاعه عليه.

- أعطني العنوان لأراسله أنا.

- أوه... لا أنا لا أثق بك. فإن عرف غرائك ولحق برايان

يلقى علي اللوم، وقد يصبح شريكاً.

- إذن لست مستعدة للمساعدة؟

- قلت إنني سأراسله. وهذا كل ما أنا مستعدة للقيام به.

وفتحت الباب:

- أرجوك اذهبي الآن، سيصلك الرد حالما يأذن لي رايان، لكن حذار أن يقرأ غرائك الرسالة.

ما عاد في وسع ماندي القيام بأي شيء، فابتلعت خبيثتها

وخرجت من الشقة. وما إن دخلت إلى السيارة حتى سارع غرائك

بسال:

- حسناً؟

- لا حظ. تخشى فاليري أن أعطيك العنوان... لكنها متراسله

لثري ما يقول.

صاح بوحشية:

- يا الهي... لقد فشلت في التعاطي مع الأمر كله... كان يجب أن أقابل فاليري بنفسي.

- ما كان هذا سيساعدك، فمشاعرها نحوك لم تتغير. أنا آسفة... لكن إذا كان هذا يعزبك فهي لا تقابل رايان كذلك. ولا أظن علاقتهما دامت طويلاً.

- أنا خاليني أهتم؟ لقد قدّم لي رايان عظيم الفائدة، فقد كنت أعمى البصر عن حقيقة فاليري. لقد خدعتني فعلاً وأنا الذي ظننتها أحبتي... لكن ثروني لم تمنع لها شيئاً أمام رعبها من الارتباط برجل غير كامل. ردت بقوة:

- لأنها غبية... فلو تريت قليلاً لرأت بنفسها أن المرح ليس شيئاً أبداً، ولا عادات مع الوقت عليه! لا نبذني من جديد بالله عليك، أنت مثلها ميتة. نكنها كانت على الأقل شجاعة فواجهتني وقالت ما تفكر فيه عوضاً عن إبداء الشفقة.

اتسعت عينا ماندي:

- الشفقة؟ أنا لا أشفق عليك غرانت مونتغمري! أنت من تشفق على نفسك. وهذه هي مشكلتك.

رفض أن يرد، بل حرك السيارة وانطلق بسرعة خطيرة منعت عنهما أي كلام... وكانت الرحلة طويلة غير مريحة، لذا أحست ماندي بالسرور لانتهاؤها. كان قبل الظهر كله مضبعة للوقت، إذ لم تحقق فيه شيئاً. ربما كان من الأجدي لو راسلت فاليري وتلفت النتيجة نفسها.

كان الرجال قد تناولوا غداهم إلا ماكس الذي تدمر ساخطاً:

- ما عاد طبعي يعجبهم. لقد أفسدتهم. لم ألتق منهم إلا الإهانات.

ابتسمت له:

- أنا آسفة، تلقيت رسالة من فاليري هذا الصباح وذهبت لرؤيتها.

- مع غرانت؟ لماذا أخبرتته؟

- لم يكن أمامي خيار آخر، فقد شاهدت الرسالة وعرف خطها. لكنني ما كنت أعرف شيئاً عن زواجهما الذي كان وشيكاً بل ما كنت أعلم أنهما متعارفان وأنت لم تخبرني.

- ما ظننت ذلك ضرورياً لأنني لم أعتقده سيعرف بأنك ستقابلينها. لقد ورطت نفسي، هل عرف من أعطاك العنوان؟ - أجل... لكن إذا كان هذا يعني أن أجِد رايان، فالشكر سيكون لك.

- هذا إذا لم يصل غرانت إليه أولاً.

- لا تنس أنه أخي... لذا سأبذل جهدي حتى لا يعرف مكانه.

هز رأسه بحزن:

- حذار يا فتاتي. أعرف غرانت منذ أمد بعيد... ففي نفسه كراهية مبررة تجاه أخيك. فما من رجل يسامح رايان على ما فعله به... ولا أعتقد أن هناك ما قد يحول بينه وبين الانتقام. - أعرف هذا تماماً. لكنني سأنجع في إبعاده عنه.

لم ترغب ماندي في أن تقوم بالعمل المكثف ظهر ذاك اليوم. لذا نزلت إلى البركة لتسبح، عليها نجد الراحة بين أحضان المياه الصافية. بعد أن سبحت استلقت تحت أشعة الشمس، رافضة الغوص في مشاكلها، إنها تقوم بما يجب أن تقوم به أية فتاة تحترم

نفسها.

حين وقع ظل عليها عرفت من صاحبه فوراً، فسألت دون إن تفتح عينها:

- ماذا تريد؟

- أريد أن أعرف ماذا تفعلين هنا؟

- أليس الأمر واضحاً؟

وفتحت عينها قليلاً فدهشت لأنها رآته في ثياب سباحة أيضاً، تشع أشعة الشمس على صدره البرونزي مظهرة بياض الجرح.. كيف فعل به رايان هذا؟ لقد بدأت تفهم سبب كرهه له وتفهم لماذا يقسم أن يقتله... إنها لا ترى صدره دائماً، لكن حين تراه يذكرها بوضوح بما فعله أخوها.

لكن غرائث يرى جروحه كل يوم! وهي تذكره دائماً بهجوم رايان المميت عليه.. وما من فرصة من النسيان ومتبقى الذكرى معه طوال حياته.

- كان يجب أن تعمل!

جعلتها برودة صوته ترتجف:

- الطقس حار جداً.. وسأنتهي الطباعة في العساء.

- بل أنت كسولة عديمة الجدوى... هل بدأ العمل يرهقك؟

هل أدركت أخيراً أن العمل عندي ليس مفروشا بالورود؟

نظرت إليه بحدة تلمع عيناها الخضراوان غضباً:

- ما اعتقدت أن دريك مفروش ورداً. لكنني لا أرى سبباً

بمنعني من التمتع بالشمس أحياناً.

- ليس حين يكون لديك عمل.

- أنت تريدني أن أعمل أربعاً وعشرين ساعة.

كانت عيناها السوداوان عميقتين لا يمكن مبر أغوارهما، قالت

له:

- لقد بدأت تعرف مدى قدرتي، حسناً لقد أنهيت السباحة، وما أنا على وشك العودة إلى منزلك.

دفع غرائث ماندي في الأيام التالية إلى العمل الشاق، لم تكن تتوقف عن العمل لحظة منذ الصباح حتى أوان النوم، حيث تكون مرهقة إرهاباً يجعلها ما إن تلمس الوسادة حتى تغيب في نوم عميق. كانت تقوم بكل شيء: الطبخ وتنظيف المنزل، الغسيل والكوي، إضافة إلى الأعمال المكتبية التي لم يكن هناك حاجة إلى إنهاؤها.

وحدث أن علق ماكس قائلاً إنها أصبحت هزيلة.

- أنت تجهدين نفسك. يجب ألا تتركه يحرّك كما يريد..

تدهشيني، فأنت لم تحصلي على ساعة فراغ منذ أسبوع.

- لن أجعله يستمتع ويتلذذ بسماع تدميري. سأعمل إن اضطررت حتى أقع.

- أنت غبية دون شك، أتريدين أن أحدثه؟

ردت بسرعة وقوة:

- لا! سبطنتي أشكو..

أخيراً وصلت الرسالة المنتظرة من فاليري وقد دعاها كما فعل في المرة الأولى إلى المكتبة وأعطاهها الرسالة.. ومع أنها كانت تفضل أن تقرأها وحدها إلا أنها فضت المغلف ووجدت رسالة قصيرة:

«رايان يرفض رؤيتك.. ويصر على أن تعودني إلى الوطن..

فلا تحاولي رؤيته ثانية... فاليري تشاؤم».

أحست بأنها ستجهش بالبكاء.. لكنها ارتدت بغضب ورمت الرسالة إليه، تراقبه بقرأها... لم يظهر أي نوع من المشاعر على

- هذه هي النتيجة إذن. ليس أمامي بصيص نور. كنت سأستأجر تحرياً خاصاً لكنني لا أستطيع تحمل هذه النفقات. سأراسله وأعلمه بموت أهلنا، وأطلب من فاليري إيصال الرسالة إليه.

وقف غرائث، ثم دار حول طاولته ووقف إلى جانبها:

- هل مستسلمين؟ أين تلك الروح المعاتلة التي أعجبت بها؟ هزت كتفيها، متجاهلة خفقان قلبها. وهذا ما لم يحدث من قبل أمام رجل.

- لا أملك مالا كما نملك أنت. وأنا دهشة فلماذا لم تستأجر تحرياً خاصاً.

رد بوحشية:

- لماذا؟ البتة بي الأمر في السجن بتهمة القتل؟ لا.. شكراً ماندي. سأختار الوقت المناسب بنفسي... ولا بد أن تلقي دروسنا مرة أخرى في يوم ما. أما الآن فدعني بعاني.. فهو يعلم أنني لن أنسى، ولا بد أنه عاش في جحيم خلال السنتين الأخيرتين، متسائلاً متى سأظهر أمامه. إنه يعاني، صدقيني.. وسبب استمرار المعاناة حتى آخر عمره. هذا إذا لم يفعل شيئاً غيبياً آخر. وهو في جميع الحالات سينال جزاءه.

لن تجعل عذابه يزعجها، لأنه يستحق العذاب. فقد عملت منذ ثلاثة أسابيع بجهد منقطع النظير، تمسح وتكنس وتلمع ونظف.. وتنظف.. وهذا كله دون أن يدفع لها قرشاً واحداً، وما ذلك إلا لأنه قرر أن تسدد ديون أخيها...

قالت له بجفاء:

- أنت تتكلم عن أخي.

رد متجهماً:

- إن هذا ما يستحيل علي نسيانه.

- ما دمت لن أجد أخي، أفضل العودة إلى بلادي لأنني أرفض البقاء في منزلك أستمع إلى إهاناتك التي تهين بها أخي.

- قلت إنك جئت إلى أوكلاند بتذكرة ذهاب دون إياب؟

- وماذا في هذا؟

- كيف مستعدين إذن؟

- سأجد عملاً مناسباً. أذكر منه بعض المال، فانا أرفض أن

أقضي حياتي في عمل من غير مقابل. ولا يمكنك إجباري!

- ففنتك أحببت حياتك هنا؟ لقد قلت لي مرة إن العمل ليس صعباً.

- وأنت قلت إنك متضاعف عملي حتى يصبح لا يطاق. وقد

نجحت لأنني في الأيام الأخيرة ما عدت أجد وقتاً للاعتناء بنفسي.

- أتعرفين أن هذا كثير عليك؟

أحست ماندي فجأة بالتعب. إذ كانت رسالة فاليري القشة التي

نصمت ظهر البعير، لذا لا فائدة من تركه يتقم منها بعد الآن.

فألت بمرارة:

- هذا صحيح.

بدأ السرور عليه:

- لم أفكر يوماً في أنني سأسمع هذا منك.

ودت لو تضربه:

- لو كان لدي أمل في أن أرى رايان، لما قلت هذا. كنت

سأستمر على حالي حتى أجده.. كنت أستغلك كما تستغلني.. أنا

لست خائفة منك.. وقد قررت الذهاب حالاً، فلا تحاول ردعي.

ابتسم:

- تسرني عودة روحك المقاتلة فلا يبدو أن رفض رايلا حطمتها، وإلا لكان هذا أمراً مؤسفاً. أنت امرأة رائعة ماندي تعرفين هذا؟

مد يديه وأمسك بكتفها برفق هذه المرة خالية من العنف. قويتان لكن لطيفتان:

- لدي عرض أعرضه عليك.

ارتفعت عيناهما نحوه:

- إنه عرض مراوغ. على ما اعتقد لذا لن أستمع إليه.

هز رأسه وكأنه غير قادر على فهم ردة فعلها الراقصة:

- إنه عرض صريح. أؤكد لك. أنت على حق ماندي.

يحق لي حجزك. وأنت حرة في الذهاب متى شئت. لكنك تقومي بعمل عظيم، وأكره أن أدعك ترحلين.

- إذا حسبت أنك قد تستعبدني بسبب طيبة قلبي فقد أخطأت.

- سأعرض عليك الوظيفة بصورة دائمة. على أن أدفع بك

اتعابك بسخاء. وما شرطي الوحيد إلا أن تبقي معنا مدة سنة.

أريدك أن تهربي عائلة إلى بلادك حالما تدخرين المال اللازم. رأيك ماندي.؟ اتفقنا؟

حارت ماندي في أمرها بسبب هذا التبدل المفاجيء:

- لا أدري. أريد بعض الوقت حتى أفكر.

سألها بسرعة:

- كم من الوقت تحتاجين؟ بضع ساعات؟ أيكفيك هذا؟

- سأبلغك قراري غداً صباحاً.

- حتى الصباح إذن. وأعدك ألا تندمي في ما إذا وافقت.

لكنها لن تثق بكلامه قبل أن يتغير تصرفه تجاهها وتجاه النساء، فلن تطيق صبراً إذا ما اتهمها في كل مرة ترند عنه بأن

تستمر منه. فهو على ما يبدو غير قادر على القبول برفضها غزله. هي لا ترفضه إلا لأنها تخاف من مشاعرها الخاصة! ومع ذلك كنت متأكدة من أن ردها سيكون إيجابياً.

دهشت حين سمعته يقول:

- ما رأيك القيام بتلك الرحلة التي وعدتك بها؟ الرحلة إلى بحيرة.

نظرت إليه مذهولة. إن هذا لا يتراز، فكل لحظة نقضيها معه

وهو في هذا المزاج الودي، ستكون صعبة عليها.

- لا أدري. لا أظنها فكرة صائبة.

رد بلطف:

- ستساعدك على التخلص من كابتك. أعلم أنك حزينة بسبب

امتناع أخيك عن الالتقاء بك. لكنني على عكس ما تظنين، أفهم

مشاعرك خير فهم فليست بارد القلب. لذلك أعتقد أن الرحلة

ستفيدنا. حضري بعض الطعام وستقوم بشواء اللحم هناك،

أعدك بأن تتمعي بالرحلة.

ابتسمت بضعف:

- كسبت! فلن أقوى على التركيز على الآلة الكاتبة.

- تعالي إذن. لنم الانتظار؟

بدا لها فجأة طفلاً يضحك بارقة عينيه.

حضر في المطبخ براداً صغيراً ملاء بالثلج المكسر، ثم وضع

ليه زجاجات المرطبات واللحم والسلطة. وحمل معه طعاماً كثيراً

ثم أضاف فطيرتين من التفاح كانت حضرتهما لغداء العمال.

- اذهبي الآن وارتي البيكيني، ثم ضعي ما يغطي جسدك.

فأنت لم تسمرتي بعد سمرة تفيك حر الشمس.

كان هناك نوع من البهجة في اجتياز الريف مع غرائث في

سيارته الأميركية... فراحت تضحك متمتعة.

نظر إليها جانبياً:

- ما أروع أن أراك سعيدة. لقد كنت متجهمة مؤخراً.

- وغلطة من هي؟

أخفض رأسه:

- نعم مذنب... لكن الأمور ستتغير حين تعملين لدي رسمياً.

- لم أوافق بعد.

- اوه... لقد نسيت. ظننت موافقتك أمراً مسلماً به. لكنك

ستوافقين، أنا واثق من هذا.

انعطف عن الطريق الرئيسية واتخذ طريقاً ملتوية. نسيت ماندي

كل حديث وهي تتأمل ما حولها باهتمام. كان الدغل الكثيف الذي

دخله يمتد في كل الاتجاهات. أشار غرائت إلى جذوع أشجار

محروقة من جراء الصواعق. أحزنها منظر هذا الخراب... فقد

كانت ترى مثل هذه الأحداث في الأخبار المصورة... وتعرف أن

الأمر قد يسوء إذ قد تحترق مساحات شاسعة من الغابات محتاجة

المنازل في طريقها... لكن الغابات تعود دائماً إلى الحياة،

والنبات الجديد يشق طريقه في الأرض السوداء المحروقة.

اشتدت تدريجياً كثافة الغابة، فأوقف غرائت السيارة وخرج

منها ليصفياً إلى نداء الطيور والحيوانات المحببة بين الأعشاب.

بدا وكأن غرائت يبحث عن شيء فلقد وقف صامتاً عدة دقائق،

وأخيراً وضع يده على ذراعها رافعاً أصبعاً إلى شفتيه، مشيراً إلى

مساحة بين الشجر ليست بعيدة.

شاهدت أمامها أربعة غزلان تبدو وكأنها عائلة، فهناك غزالان

كبيران وآخران صغيران، وهي جميعها تشنف أذانها متطلعة إلى ما

حولها وأذبالها القصيرة تهتز.

- ثقف عادة هذه الوقفة حين تحس بالخطر. إن أصغر حركة

قد تجعلها تختفي عن النظر. إن هذا يوم حظنا دون شك.

قالت بصوت أجش خفيض:

- ما أجملها. ما عرفت أن حجمها كبير إلى هذا الحد.

- قد تبلغ طولاً متراً وريعاً. إن قدرتها على الجري فائقة بحيث

لا تصدق. حين كنت صغيراً خرجت للصيد مع جازنا المزارع،

أذكر أنني راقتها تركض، فقدرونا سرعتها بخمسة وثلاثين ميلاً في

الساعة، وكانت كل قفزة تبعد عن الأخرى ما لا يقل عن سبعة

أمتار... أما صغارها فأسرع جرياً لأنها أخف وزناً. وقد تصل

سرعتها إلى أربعين ميلاً في الساعة وقد تركض خمسة أميال

متواصلة بالسرعة ذاتها دون توقف. وقد تصل قفزاتها إلى عشرة

أمتار.

صاحت:

- لا يصدق.

وكان صوتها أعلى من المطلوب، فتنهاى إلى الحيوانات

العنقبة التي سرعان ما ابتلعها الغابة.

- اوه... أنا آسفة.

ضحك غرائت:

- توقعت هذا... فلا تلومي نفسك.

- لكنها كانت طريقة... هل مستعود؟

- لا أظن... لقد ابتعدت كثيراً الآن.

- شاهدت برنامجاً وثائقياً على التلفزيون يظهر طريقة عيشها

وتربيتها، إن الأمر لمدهل... لقد بدأت أحب الحياة البرية.

صاحت فوفهم قبرة، صوتها صدّاح كالموسيقى. كانت تلمح

أحياناً الألوان تمر بها وذلك حين تنتقل البيغاوات والطيور الملونة

من أمامها.

وجدت أمامها زهور برية لم ترَ مثلها من قبل، بعضها كالفرشات الملونة، تقصدها دائماً طيور العسل ذات المتقار الطويل وهناك زهور تشبه النجوم زهرية اللون وكأنها مصنوعة من الشمع. كان ما حولها من ألوان براقة ورائحة فواحة جنة للنظر، لذلك حين اقترح غرانت عليها أن يتابعا طريقهما شعرت بالأسف. طفق الطريق بعد دقائق يهبط نزولاً فجأة، هبطاً ثلّة حتى انتهى بهما الطريق إلى شاطئ البحيرة الذي يقع في مكان مهجور. قال لها غرانت:

- سنسترخي الآن لنتمتع بما حولنا.

وما هي إلا لحظات حتى أخرج كل شيء من السيارة ووضعها على الشاطئ. ثم قال:

- ما زال الوقت باكراً على الطعام.

فصاحت بإثارة:

- يجب أن نسبح أولاً. المياه مغرية.

خلعت فستانها وخفيها ثم ركضت إلى المياه، التي أحست بها كالحرير على جسدها، باردة منعشة. سبحت عدة دقائق قبل أن تنتبه إلى أن غرانت لم يتبعها بل وقف يراقبها، متفرج الساقين، عاقد الذراعين حتى بدا بوقفته تلك مثلاً رائعاً للرجولة والجاهلية. فصاحت به:

- ألن تأتي؟ هل ستبقى واقفاً طوال النهار؟

- أنا أتأمل حركاتك معجباً.

أحست بسرور لا يوصف فغاصت تحت الأمواج، ثم صعدت بعد لحظات فإذا بها تجد غرانت على مقربة منها، سباحاً ومبجحاً حتى قررا أن لا فائدة من إزعاب نفسيهما، فأمامهما النهار كله.

فتحت مائدي مشقتها، ورمت نفسها عليها... فهذا المكان دون شك أهدأ مكان في العالم... أغمضت عينيها، فشعرت بحرارة الشمس تجفف جسدها في لحظات. انتفضت حين أحست بيد غرانت تدلك ساقها بزيت مقاوم شمس. فجلست... لكنه دفعها مبسماً لتنام ثانية، فقالت والضحكة تملأ كيانها:

- أستطيع القيام بهذا.

لكن كان هناك شيء مثير في الطريقة التي يدلّكها بها. شرّعت للحركة البطيئة الدم في عروقها... وتمتم:

- هذا من دواعي سعادتي... ولا أظنك ستحرمينني هذه اللذة.

أبدانها حتى تقبل عرض العمل، وماذا سيحدث بعد أن تصبح موظفة عنده راسياً؟ هل سيبقى قاسماً معها، ملقياً على عاتقها ما لا طاقة لها به؟ هل سيجعلها تعمل حتى الإجهاد؟ إنها لا تثق به أبداً. كانت معدتها تتقلص من مجرد ملامسته لها... خفق قلبها بشدة وكادت تسمعه. ستقع الكارثة حين ترتفع يده وصولاً إلى منطفة قلبها... جلست بسرعة ومدت يديها إليه:

- أعطني الزجاجاة... أنا أفضل أن أدلك نفسي.

تنفس فجأة بعمق وغضب. فانتفض نبض في صدغه وقست عيناه، لكنه أخفى ألمه بسبب رفضها... عندئذ لعنت مائدي نفسها... إنها تسيء دائماً إلى مشاعره. لكنها لو حاولت الاعتذار أو الشرح لظنها تتذرع. ومن الخير أن تنصرف وكأن شيئاً لم يكن.

صبت الزيت على راحة يدها وفركت جسدها إلى حيث قد تصل يدها. ثم نظرت إلى غرانت المستلقي على معدته ورأسه بعيد عنها:

- هل لك أن تدلك ظهري الآن.

اضطجع ببطء، وعلى وجهه غضب مكبوت:

- لا فائدة من الأسف الآن. أو من الادعاء. أعرف مشاعرك وأعرف أنك لا تودين جرح مشاعري، ردة فعلك لا إرادية. ولم ينبوح لي بأكثر من أي شيء آخر، إنك تكرهين أن ألمسك.

- هذا غير صحيح. فهذا لا يزعجني. على الأقل ليس ي

تظن.

سخر منها:

- لا تكره المرأة أن يلمسها رجل إلا لسبب واحد وهو شعوره بالاشمئزاز والنفور منه. فلا تحاولي اختلاقي الأعذار، لأنها لن تقضي ردة فعلك. لقد كسبت خبرة كافية خلال الستين الأخيرين وأستطيع من خلالها فهم ردات الفعل.

- يجب أن تعرف إذن أنني أقول لك الحقيقة!

جلس لينظر إليها بعينه الحادتين:

- أخبريني إذن؟ هيا. أسمعيني إياها، أنا منتظر.

تجست النظر إليه، تبحث عن ميل ما لشرح الوضع له. ماذا تقول له، أنتخبره بأنها متجذبة إليه انجذاباً قوياً لا تستطيع إنكاره. لكن هل مبيصدقها؟ إنه مقتنع بأن ما من امرأة قد تنجذب إليه بحسب بأنه لا يملك ما يقدمه. وما من امرأة قد تغير وجهة نظرها هذه.

قال بغضب:

- أرايت؟ أنت عاجزة عن قول أي شيء!

- لا أدري كيف أشرح الأمر لكنتني لا أجذك منفراً أبداً. وأحب أن تدلك لي ظهري.

مدت الزجاجاة إليه، امتنية أن يقبل. فقد تكون هذه على

الأقل، خطوة في الاتجاه الصحيح. تناول الزجاجاة بعد تردد، لكن، بينما كانت حركاته قبل قليل ناعمة حساسة، أصبحت الآن فظة، لأنه راح يدلك ظهرها بسرعة كأنه مجبر على ذلك، ولم يحتاج بطريقة تلك إلا لثوان، أعاد بعدها الزجاجاة إليها بفظاظة لا يمكن تجاهلها. فسألته حزينة:

- لماذا أغضبك دائماً؟ أنا لا أقصد. قال الحياة أقصر من أن نقضيها في خصام.

- في هذه الحالة، تعلمي التفكير قبل التفوه بكلمة، فليس من السهل علي العيش مع تشوهادتي.

ابتسعت له بضعف، ومدت يدها تطلب الصداقة.

- سأحاول.

تناول يدها بعد تردد طويل لكنه لم يمسكها أكثر من ثوان معدودة، وقفز واقفاً:

- حان وقت الشواء.

وما هو إلا وقت قصير حتى أصبح كل شيء جاهزاً. فتحت ماندي الخبز وطلته بالزبدة، ثم حضرت السلطة بانتظار الشواء. فقد كانت تنضج جوعاً.

حين أصبح كل شيء حاضراً كان غرانت قد تغلب على مزاجه العكر فراح يتكلم أثناء تناول الطعام، ذاكراً لها أن والده ماندا في حريق غابة حين كان في الحادية عشرة من عمره وأنه عصامي بنى نفسه بنفسه. وقد أمضى جزءاً من حياته مسافراً. وقد اتصل بسكان البلاد الأصليين:

- قضيت أسعد أيامي معهم، إن لهم أفكاراً غريبة. لكنني

أجدهم عرق بشري مشير للإعجاب. بعد الغداء، استلقيا ثانية، وأحست ماندي بالنعاس لكنها لم

نع إلى أنها نامت إلا بعد أن استيقظت فجأة فوجدت رأسها على صدر غرائت. وحين حاولت التحرك اكتشفت أن ذراعها كانت فوقها، فنظرت إليه وإذا به غارقاً في نومه.

تساءلت كيف أصبحا في هذه الوضعية، كما تساءلت عما إذا كانت هي من تسلمت لتلتصق بصدره وتنام. أم أنه هو من جذبها إليه. لكن الأمر لا يهم، فهي الآن هنا تنام على صدره.

استغلت الفرصة فراحت تمنع النظر في وجهه، إنها المرة الأولى التي تتمكن فيها من هذا دون أن يظنها تحديق في جرحه. ولم يكن على وجهه أي عذاء، بل ابتسامة، مما جعلها تتساءل عن الأفكار التي تراوده. كان كل شيء حتى تلك الخطوط التي شققتها في وجهه الستين الأخيرتين من المعاناة ناعمة غير مرئية تقريباً... هناك هشاشة حوله جعلت أنفاسها تعلق في حنجرتها.

خارجياً هو قاس جلف... لكن تحت هذه الواجهة الخارجية رجل يخشى أن ينظر إليه الناس... إنه يكره أخاها لما فعله به، ويكره قالييري بسبب تصرفها الشائن بل هو في الواقع يكره الدنيا كلها... بدأت معها فقط عقده تحلل. فهي على ما تعتقد المرأة الأولى التي تقترب منه إلى هذا الحد منذ الحادثة.

لكن، كيف السبيل إلى تجاهل جرحه، خاصة ذلك الذي في وجهه والذي كان يجذب نظرها إليه مراراً ومرات... وكأنه علامة استفهام عويصة. راحت دون أن تدري ما تفعل. راحت تمرر أصابعها على الندبة، تتحسس الجلد غير السوي، دون أن تشعر بأية كراهية أو اشمئزاز.

لو أن رجلاً آخر غير أخيها فعل به هذا! لسمي يتقرب إليها أكثر. لكنها تذكره دائماً به ولن يتركها تقترب من حياته الخاصة. أيعتقدها ستجتمع بأخيها. أو يستخدمها طعماً؟

صدمتها هذه الفكرة المفاجئة... لماذا لم تفكر فيها قبل الآن؟ لا شك في أنه طلب منها العمل لهذا السبب. لكنها يقاتلها هنا منقود رايان إلى الخطر. قد يكون مجرمًا، أو قاتلاً... لكنه أخوها... وهذا يعني لها الكثير الكثير، ألا تكفيها مأساة والديها اللذين خسرتهم، فكيف تقبل بخسارة رايان أيضاً. ربما هما الآن منفصلين، إلا أنه ما زال عائلتها كلها، وهي تعلق الأمل على هذا كما لم تعلقه على شيء آخر في حياتها.

لم تنتبه إلى أنها أثناء تفكيرها هذا كانت ما تزال تضع يدها على وجهه حتى أطبقت أصابعه على معصمها وأبعد يدها عنه، فظنت أن شيئاً قد ضربها.

صاح بها ووجهه شاحب كوجوه الأموات:
- ماذا تفعلين؟ إذا لمستني ثانية هكذا أقتلك كما سأقتل أخاك

اللعين!



٥ - صداقة لا ترد

قفزت ماندي من مكانها وكأنها أصيبت بطلقة نارية.. ارتدت إلى الوراء وعينها مشغولتان ارتباكاً.
- وهل أمتك؟

كان صدرها يعلو ويهبط وأنفاسها تنهدج وقلبها يخفق قوياً بين ضلوعها. قال لها بخشونة:

- لم تؤلميني بالطبع. لكنني لست مخلوقاً عجيماً في سيرك، وأنا بغنى عنك وعن لمسك جروحي. لقد انجذبت إليها رغمًا عنك. أردت رؤية ما إذا كان ملمسها يبعث الثغور في النفس كما منظرها؟

ارتجفت ماندي، ثم استوت جالسة:

- لا أشعر بالثغور منها.

- لا أريد الشفقة التي أعثرها أسوأ ما في الكون. ربما حظيت بها من ماكس ومن الآخرين الذين تجاهلوا بعد أن اعتادوا عليها.. وأنصحك بأن تحذري حذوهم، هذا إذا كنت ترغبين في علاقة عمل ناجحة.

ردت بهدوء:

- أنا لا أشعر بالأسى عليك.. أنت تحمل على كاهلك وزراً كبيراً.. ولا أجذك لتسريح مع امرأة أبداً حتى تتحرر منه، عجباً

كيف أنك لا تنظر إلا إلى جرحك ولا تفكر إلا فيه.. حسناً أقول لك إن هذا غير صحيح، أعترف أن جروحك ظاهرة لكن بسهل سيانها. فمن يملك شخصية كشخصيتك تزول أمامها كل معايير الجمال. أنت تمتلك كل ما يرغب فيه بل أكثر مما قد يرغب فيه رجل. وإذا كان جرحك يزعجك، فلماذا لا تطلق لحيتك أو تجري عملية تجميلية؟

- ما سألتك رأيك، ولا أريده. إن ما أفعله بوجهي هو شأني وحدي. أما بالنسبة إلى يومي هذا فأشكرك لأنك أفسدت. حسب نفسي أقدم لك معروفاً، كان يجب أن أعرف أكثر من هذا.

اندفع بوحشية واقفاً وبدأ يعيد الأغراض إلى سيارته. ثم ارتدى سرواله الأسود وقمصينه الأبيض والتفت إلى ماندي:

- جاهزة؟ إذا لم تكوني جاهزة فسأتركك هنا. لا تخشي أن يجهوني النوم بسبب ما حدث.

سارت نحو السيارة، وصعدت إليها ثم ربطت حزام الأمان مبقية على أكبر مسافة ممكنة بينها وبينه، لقد وجدته منذ أن التقته أول مرة سليط اللسان وما زال كما هو. كيف لرجل أن يكون ملعوناً إلى هذه الدرجة في معاملة الناس، فقد كانت كلماته تجول في نفسها كسكين حادة تمزقها وتجعلها تنتفض ألماً عند كل جرح. إن فاليري دون شك كانت أفسى النساء قلباً وأبردهن شعوراً. فقد حطمت بتصرفاتها الطائشة حياة غرات. ولو تريثت قليلاً، لاكتشفت أن الجرح لبس بالسوء الذي كانت تخشاه.. ولو بقيت لرضي بشووه.

كان الجو بينهما مكهرباً حتى توقع أن ترى شرارات تتطاير بينهما. ومع أن أحداً منهما لم يتكلم، إلا أن التوتر الذي طغى على جو السيارة، كان كثيفاً كثافة لم تختبر مثلها في حياتها.

تساءلت عما إذا كان يجب عليها أن ترحل كما تساءلت عما إذا كان فعلاً يستغلها للوصول إلى رايان. فبالله لمن يطمئن حتى يواجهه، وحتى يوقع فيه العقاب العادل بيده أم بيد القانون.

ووجدت نفسها مضزقة بين طريقين، كان جزء منها يصرخ لحماية رايان، وما من سبيل إلى ذلك إلا بالعودة إلى انكساره. وجزء آخر يحذرهما لأنها تقترب بشكل خطير من الوقوع في حب هذا الرجل، كان فيه جاذبية تشدها إليه لا فطرة لها على مقاومتها إنه يجذبها كما يجذب المغناطيس المعدن.

إنه رجل يفوق الرجال، تكبراً وإباء. فيه رجولة وعداوة. لا يمكن إنكارها. ليتها قابلته قبل الحادثة، حتى ترى ما كان عليه قبل أن يتحطم غروره.

لم يكن لديها أدنى شك في أنه سينقلب على أومه في النهاية. لكن هذا قد يقتضي وقتاً طويلاً بل قد يقضي عمره كله على هذه الحال، لكن ما من رجل قد يترك أمراً كهذا يؤثر فيه إلى ما لا نهاية.

ليتها تستطيع مساعدته. إنها مستعدة ومتحمسة لها، وذلك لتؤكد له أنه يحمل صليبه على لا شيء ولتقنعه بأنه إن سمح لنفسه بالنسيان أصبحت حياته أجمل وأمتع وأحسن... لكن لا طائل من هذه الأفكار كلها، فهو لمن يسمح لها أبداً بالاقتراب منه إلى هذه الدرجة.

حين وصلا، قصدت المطبخ متسائلة عما تغدّه من طعام لا تشعر برغبة في إعداده.

التفت بماكس فابتسم لها ابتسامته المرحبة المعتادة.

- لقد تحدثت إلى الرئيس منذ برهة، فقال إنه لا يريد أن يتعشى. أعتقد أنكما أمضيتما نزهة رائعة!

وكان في عينيه الزرقاوين الفاتحتين غمرة ذات مغزى، تساءلت عما كشف غرائث له، وقالت:

- هذا صحيح، وأنا لست جائعة أيضاً.

- ساعد نفسي في هذه الحالة سندويشاً، فلا تشغلي نفسك من أجلي. سررت لأنك تمتعت بيومك، أنت تستحقين هذا. قال

غرائث إنك متيقين معنا فترة، كما قال إنه سيعتبرك في عداد

الموظفين.. أهذا صحيح؟

لم تستطع إخفاء دهشتها:

- لكنني لم أرد على طلبه بعد.

- إنه على ما يبدو واثقاً منه. لقد أفنعتك اليوم؟

- يمكن أن تقول هذا. إن لم يكن هناك من عمل أقوم به فمن

الأجدي أن أوي إلى فراشي.

- ما رأيك بنزعة في المزرعة؟ أنت لم تشاهدي الخيول. متى

تدعت علينا؟ منذ ثلاثة أسابيع؟ عيب عليك يا فتاة.. ألا تحبين

الخيول؟ لدينا منها ما هو رائع حقاً.

- أنا لا أهتم بها.. لكنني سأحب مرافقتك الآن.

لكن حين خرجا إلى الفناء الخلفي، تمنيت لو رفضت دعوته

فقد وجدت غرائث يسرج جواداً وحين رآها مع ماكس دهش

لسألها:

- أتبحثين عني؟

رد عنها ماكس:

- كنت أريها المكان.. أنسيت أنك لم تفعل هذا. وإذا كانت

ستصبح موظفة رسمية، فمن حقها أن تتعرف إلى مكان عملها.

نظر غرائث إليها ببرود:

- أهذا ما تريدن؟

- لقد دفعني الفضول دائماً، لكنك كنت تقول إن علي الاعتناء
عن الرجال، لذلك لم أهتم.

- ما دمت هنا فتعالني معي لامتطاء الخيل. أتجيدين الفروسية؟
كان عرضه هذا سيعلها في ظروف أخرى... لكن غرائث
غرائث كان نكداً وهي لا تريد أن تقضي معه وقتاً وهو على هذا
الحال.

- لا... شكراً لك، فلا أرندي ثياب الفروسية.

- سأنتظرك.

لم تصدق أنه يرغب فعلاً في مرافقتها. لكنها هزت رأسها
وأشاحت بعينها عنه:

- الرد ما زال لا.

- تعين أنك لا تريدني الخروج معي؟

انطلق السؤال المشحون بقوة وغضب... فردت:

- فسر الأمر كما يحلو لك لكنني ما قصدت ما فسرته.

تبادلا النظرات لحظات، أحست خلالها أن عينيه تستحوذان
عليها. فانتقبضت معدتها، وتقطعت أنفاسها. إذا كان يؤثر فيها
قاصداً، فماذا سيفعل لو خرج عن خطه وكان لطيفاً معها؟

ربط آخر حزام للسرج ثم اعتلى بحركة غاضبة سريعة صهوة
الجواد. ثم ابتعد عن الفناء دون أن يلقي عليها ولو نظرة. فتدتمت
على قرارها فوراً وتمنت لو قبلت دعوته، ربما كان أمناً على
أظهره من غضب عند الشاطئ، وكان يريد تعويضها. وإذا كان هذا
قصده فعلاً، فقد أفسدت عمداً الفرصة... أه يبدو أنها تجيد إفساد
كل شيء.

التفتت إلى ماكس بإبتسامة جافة:

- أظنني رأيت ما يكفي. سأوي إلى فراشي وأستلقي لأقرأ

كتاباً. كان يومي متعباً.

نظر إليها نظرة العارف:

- أنت بلهاء مائدي... غرائث شاب عظيم... ويجب أن تقبلي
صداقته، فهو لا يعرضها دائماً.

ولم ترد عليه، فكل ما يراه هو عرض للترهة، ويظن أن
غرائث قد بدأ يتغلب على مشاكله، وهو يلومها لأنها لا تتجواب
معه.

- لنبي أسباني ماكس. لكنها ليست أسباب أود تباحثها. آسفة،

لا أريد إغضابك. لكن هذا هو ما عليه الحال.

هز رأسه وكأنه فهم مآزقها وقال:

- هل أفهم من هذا أنك متحضرين انقطور في الصباح؟

ضحكت، فهو لا يترك فرصة دون أن يؤكد فيها بغض الرجال

نظامه. هزت رأسها:

- سأفعل.

ثم سارت نحو المنزل.

لم تنم تلك الليلة كما يجب، فقد أزعجتها صراخير الحصاد
أكثر من أي وقت مضى، لكنها نامت أخيراً وامتنقت باكراً قبل
طلوع الشمس على زغردات الطيور وصراخها. لقد قرأت عن هذه
الطيور لكنها للمرة الأولى تلاحظ أن تغاريداً تختلف عن تغاريد
الطيور المعروفة. أحست وكأنها طيور العالم كلها اجتمعت خارج
النافذة، وكانت هذه أجمل طريقة تستقبل بها يومها.

لكن يجب ألا تنسى أنها مضطرة إلى الرد على طلب غرائث.
كان قد جزم أنها باقية، وقد أبلغ ماكس بموافقته، وهذا ما أزعجها
فعلاً. علمت أنها ستندم إذا قبلت فمداً سنة ليست بالوقت القصير
خاصة إذا كانت غير سعيدة.

لكنه أدهشها فقد أنقذها مؤقتاً من اتخاذ القرار، ذاك أنه لم يظهر عند الفطور، فلما سألت ماكس عنه أجابها:

- لقد خرج على غير عادة باكراً..

- ألن يعود ليتناول فطوره؟

هز ماكس رأسه:

- قال، لا تتوقعه حتى تراه.

فصدت المكتبة، لكنها لم تستطع إبعاده عن أفكارها، وعندما مضى الوقت بدأت تتساءل عما إذا أصيب بحادث ما، أهو مستلق الآن فاقد الوعي؟ وكانت كلما اتخذت أفكارها هذا المنحى ازدادت قلقاً عليه. وفي النهاية عندما فقدت القدرة على الصبر، سارعت تبحث عن ماكس، فلما وجدته قالت إنها تريد التفتيش عنه.

- هل لي أن أستعير جواداً؟

- لن يفيدك هذا.. سيعود قريباً.. لا تخافي، لن يصاب بأذى.

وما كان أمامها إلا أن ترضى بالواقع لكنها لم تستطع التركيز على عملها، وراحت ترتكب أخطاء إثر أخطاء حتي توقفت أخيراً عن الطباعة. وأمضت الوقت أمام النافذة تنتظر خارجاً.

كانت الحفول الممتدة أمامها فارغة، والسماء زرقاء حارة.. وكان كل شيء حتى الطيور هاجعاً في مثل هذا الوقت. لم تصدق ماندي أنها قد تشعر بمثل هذا القلق لغياب غرائث. ولا مسبب إطلاقاً يدعوها لهذا القلق.

حضرت طعام الغداء بحركات أوتوماتيكية، لكن توترها تضاعف عندما لم يأت ليتناول الغداء أيضاً.

- ماكس.. أعتقد أن علينا أن نفعل شيئاً.

حك رأسه مفكراً:

- أجل.. فليس من عادته أن يغيب طويلاً.. لكن كيف نعرف أي اتجاه سلك؟ إننا كمن سيبحث عن إبرة في كومة قش.. وهو إلى ذلك قد ينهرنا إذا وجدناه، خاصة إذا كان يطلب الهدوء والسكينة.

- لا آبه لما يفعل.. فأنا قلقة.. حقاً قلقة!

نظر إليها بخبت:

- لقد وقعت في حب الرجل يا فتاة.. أليس كذلك؟

هزت رأسها باثثة.. فأكمل:

- عجباً أنت تدهشينني حقاً.. ظننتك تكرهينه.

- أنا دهشة من نفسي نظراً للطريقة التي يعاملني بها..

والمشكلة أن هذا لن يفيدني، فما زلت شقيقة رايان. كان أنني وصعة سوداء في سجلي منذ البداية، لذا لن يسمح غرائث لنفسه بالتورط معي.. فأنا أعيد إليه الذكرى حية.

- أمر مؤسف.. ستفيد غرائث امرأة مثلك، فليس من الطبيعي أن يغلق الباب عن الدنيا. وهذا لا يعني أنني أسفت عندما تركته فاليري.. فلقد كانت فاسدة إلى أقصى حد، لقد كانت تجري وراء ماله، لكنها كانت غيبية.

- إنه يعرف هذا الآن.. هل حزن كثيراً يومها؟

- لا يكشف عادة عن مشاعره. لكنني أعتقد أن كرامته جرحته أكثر من أي شيء آخر.

- وما تزال مجروحة حتى الآن. لقد تبادلنا بضع كلمات

بالأمس.. ولم أصدق أنه كان يمد لي غصن زيتون حين عرض

علي مرافقته.. ألا يمكن أن نبحث عنه ماكس؟

- أعرف ما تشعرين به.. لكن لنمهله بعض الوقت فلا معنى

لقلقك هذا.. سيعود حين يكون مستعداً.

وقد حدث ما توقعه ماكس، فقد سمعها وقع حوافر في الخارج، سارعت إلى الباب فرأت غرائث، مغبراً منعياً، لكنه على ما يرام... وبدلاً من أن تعترف له بقلقها عادت إلى المطبخ وحين دخل بعد لحظات كانت تشغل نفسها بتنظيف الصحون... إن أمراً واحداً يقال عن هذا المنزل وهو أن فيه كل وسائل الراحة التي يمكن تصورها.

- أليكم طعام لي؟

أجفلها السؤال الأجش، فالتفت إليه لكن صحناً من الصحون وقع من يدها... لم يهتم بما إذا كان غيابه أقلقها أم لا. أخرجت الطعام من الفرن ووضعت على الطاولة، ثم وضعت له السكين والشوكة وبعض الخبز السميك ليبلله بمرق اللحم كما يحب معظم الرجال أن يفعل. وتراجعت عنه... فما عاد أمامها ما تفعل، لكنها كرهت أن تذهب... فقال لها:

- اجلسي... بالله عليك!

انتفضت مرة أخرى من صوته الأجش، فجلست على المقعد الخشبي قبالة... تكون غيبة إذا تركت هذا الرجل يؤثر في أعصابها إلى هذا الحد.

- قلت إنك ستعطيني ردك اليوم... فهل قررت بعد؟

كانت ضربات قلبها العنيفة تؤلمها، وتصيح بجنون داخل صدرها، حتى كادت تشعر بها تنفجر في أسفل عنقها.

- لست متأكدة بعد.

- أنودين البقاء؟

ووضع بعضاً من البطاطا المهروسة في فمه... فقالت:

- اعتقدت أنك غيرت رأيك، بعد الطريقة التي تصرف بها معي يوم أمس وقد حسبتك تكره قربي منك.

- أو أنا غبي إلى هذا الحد ماندي؟... يا الله... لا علاقة لما حدث بطلبي. إنهما أمران منفصلان تماماً، ما أطلبه منك هو علاقة عمل، لا شيء آخر.

لكن لماذا دعاها إلى الخروج معه بالأمس؟ اللتزهة فحسب؟ ترى هل أفسد لمسها جرحه عليها كل شيء؟ فلقد كان له أثر مأساوي عليه، وهي تفهم مشاعره لأنها لمست جزءاً حساساً معرضاً للخطر.

وها هو الآن يقول إنه لن تكون هناك فرصة أخرى للاقترب منه... فابتلعت ريقها بصعوبة، وهي لا تدرك أن عذابها ظهر في عينيها. قالت وكأنها تتحدها:

- لم أفكر في أن في الأمر شيئاً آخر، لكن كيف أربط نفسي سنة كاملة. لا أحسبني أحب البقاء هنا هذه المدة... كما أن ما أقوم به الآن بعيد كل البعد عن اختصاصي.

- آوه... صحيح... كنت أنسى... يجب ألا تضيعي مواهبك الفذة.

كانت تكره من يسخر من عملها:

- لا أظنني طلبت منك هذا.

فابتسم ساخراً:

- مدة التعاقد اثنا عشر شهراً، فإما أن تبقي، وإما أن ترحلي. قرري الآن هيا.

لم تعرف أنه يعطيها إنذاراً نهائياً. كانت نظنه يريد منها أن تبقى كما حسبه ميساب بخيبة أمل إذا رفضت لكنه على ما يبدو غير مكترث أو عايم بها أبداً، وكأنه أمضى وقتاً يفكر... ربما هذا هو سبب غيابه... وربما ندم على طلبه ذاك، ويأمل الآن أن ترفض. نظرت إليه بقلق:

- ما زلت غير واثقة.

- يا الله... أنا لا أطيق النساء اللواتي لا يعرفن ما يردن! كنت سأقسم بالأمس أنك ستوافقين.. فما الذي جعلك تتغيرين هكذا؟
كادت تقول له «أنت».. أنت من فعل بي هذا.. أنت وعجرفتك الغبية اللعينة، وتصرفاتك الرعناء، لكنها قالت:
- لقد سبق أن ذكرت لك أن علمي سيذهب سدى.
ضرب الطاوله بقبضة يده:

- أنت امرأة ماندي لا رجل! فلماذا اخترت مهنة كهذه؟
نظرت إليه ببرود:

- لأنها ما أريد ولأنها كانت مهنة والدي.

- إذن كان على رايان أن يتبع خطاه. هل كان بارعاً بعمل ما؟
كان على والدك أن يساعده هو لا أنت.

- حين أريد رأيك سيد مونغمري، أطلبه منك!
وهبت عن مقعدھا غاضبة، ثم توجهت إلى باب المطبخ
كالعاصفة. فقال بسرعة:

- أفهم من هذا أنك سترحلين؟ إن هذا ليؤسفني فقد أثبت
جدارتك في العمل المنزلي والمكثي الذي أرحنتني منه. ويبدو أنني
الآن مضطر للعودة إليه، فلن أسمح لامرأة أخرى بدخول منزلي.
لم تكن تدري ما إذا كان ينتقي كلماته عمداً، لكنها لم تستطع
تجاهل لهجة الرجاء فيها. فنظرت إليه والاستسلام على وجهها،
ونمتت:

- سابقى... غرانت!

اللعنة عليك! سيكون هذا أصعب ما أقوم به، سابقى لأنني
أحبك، لكنك لن تعرف هذا. وعادت إليه ببطء:
- ألن أحظى بوقت للراحة؟ أسمح لي بأن أتصرف كما يحلو

لي؟

نظر إليها وعيناه ملؤهما الشك:

- أنظلي مني وقتاً للتفتيش عن رايان؟ ظننتك تخلبت عن
هذا. ألم يكن في نيتك العودة إلى بلادك؟
- أنت تحاول إرباكي. ما أطلب إلا أن أعرف حقوقي.
- أي أنك ستقومين بأي عمل حين يطلب منك على أن يكون
الوقت المتبقي لك؟

- لا أجد هذا مرضياً.. أريد ساعات محددة.. وهذا حق.

كانت تنظر إليه بخيلاء فبرز كنفه والثوب شفتاه:

- لا أستطيع أن أحدد وقتاً محدداً، فأنت تقومين بوظيفتين في
آن واحد. كانت السيدة كيلى تعمل دواماً كاملاً.
- لم تكن السيدة كيلى تقوم بعملك المكثي.. وكانت تجد
لنفسها وقتاً كافياً.

- متى تبدئين عادة بتحضير الفطور؟

- من الثامنة.

- ومتى تنهين وجبة المساء؟

- في الثامنة.

- إذن ستقومين بالعمل من الثامنة صباحاً إلى الثامنة مساءً. هذا
عدا عن وجبات نهاية الأسبوع.

صاحت به:

- اثنتا عشرة ساعة يومياً؟ وكم ستدفع لي أجراً؟

- سيكون أجراً مرتفعاً. أنشيري إلى أنك لن تستطيعي القيام

بالعمل؟

- إنه لا يزيد عما اعتدته في الأسابيع الأخيرة، أستطيع القيام

به، إذا كان يستحق ما سأقاضي.

- سأؤكد من هذا. لقد لقبوني بالقباب عدة لكن لم يكن من بينها لقب الشرير. ومن حقك أن أدفع لك بسخاء ماندي.. فأنت تقومين بعمل جيد.

أحست بالراحة حين تركها أخيراً. فذهبت إلى غرفتها متسائلة عما إذا قد أصابت فيما فعلت. قد يحدث أي شيء خلال هذه المدة، فإن بقيت علاقتها معه على هذه الحال فسيكون أمامها وقت عصيب.

حين ذهبت في الصباح التالي إلى المكتبة كان غرانت بانتظارها مع العقد. أحست بالمرارة فهو على ما يبدو لا يتق بها. أخذت منه العقد ثم قرأته بدقة، فلاحظت أنه اشترط ألا تترك العمل قبل مدة سنة. وإذا وقعت فلن تلوم سوى نفسها، فهو لا يضغط عليها، إلا عاطفياً، وهذا ما لا يدركه. ومع ذلك وقعت عليه رابطة نفسها بمستقبل مختلف جديد.

وتغيرت الأمور بعد أن أصبحت موظفة رسمية.. كان يعاملها بطريقة عملية صارمة.. ما من زهات، بل أوامر وأوامر وما عليها إلا الطاعة.. لكنه ما عاد يتلذذ عندما يراها تستخدم البركة، في أوقات راحتها التي كانت هي المساء أو بعد الغداء حين يكون أمامها ساعة راحة قبل العمل المكتبي.

أما تصرفات موظفيه فتغيرت، فبعدما كان الرجال يترددون بالتقرب منها، أصبحوا الآن يتحدثون إليها بصداقة وود. وكان غرانت يقطب جبينه كلما رأى هذا لكنه لم يعلق بكلمة ولو فعل لأوقفته عند حد.

مر أسبوعان لم تستطع ليهما أن تتمتع بوقت راحة خارج المزرعة. أما الراتب الذي كان يدفعه لها فكان أكثر من سخي، وهذا يعني أنها قادرة في فترة وجيزة على شراء سيارة.

فجأة، قال لها غرانت في أحد الأيام:
- تستحقين فرصة يا ماندي.. فليطبخ ماكس غداً. سأصطحبك إلى منطقة الشلالات.

لم تستطع إخفاء دهشتها:
- وماذا فعلت لأستحق هذا؟
- لقد أثبت جدارتك، كما أن هناك صديقاً لي في تلك المنطقة أود زيارته.

- أنا مسرورة لأنك فكرت في.
نظر إليها وتعبير غريب على وجهه:
- ليس هناك فتيات كثيرات يعملن مثلك بجهد دون أن يتذمرن. أنت فتاة رائعة.

كان هناك شيء ما في الطريقة التي يرمقها بها وهي تدل على أنه ليس منيعاً ضدها كما يدعي. راح منذ اكتشفت حبها له يبتعد عنها أكثر فأكثر، كانت علاقتها علاقة عملية محضة.. وما كان يكلمها إلا ليعطيها الأوامر التي تسرع إلى تنفيذها. وكانت عندما تستخدم البركة يغيب ولا يعود إلى استخدامها حتى تذهب. في بعض الأحيان كانت تقف أمام نافذتها المطلّة على البركة، فتشاهده يقف هناك دون أن يدري أنها تراقبه. وكانت تلك اللحظات الوحيدة التي تراه فيها مسترخياً، مع نفسه. وهي لحظات تمنع لو تشاركه فيها.. لكن ما زادها تعاسة عودته إلى قوقعته.

وها هو الآن يعد لها يد الصداقة مرة أخرى.. وهذه المرة لن تخطيء ولن تقوم بأي حركة قد تفسد هذه العلاقة.

* * *

٦ - زغرودة قلب

لم يمر النهار التالي بسرعة وكانت مائدي خلال مشاة الأعصاب. تعلم أن هذا غباء، فلا يريد غرائث إلا منحها فرصة بعيداً عن عملها اليومي الرتيب، وهو لن يستغل الفرصة لإغوائها. لكن كيف يقدر على هجر النساء هكذا؟

إنه يقضي معظم وقته في رعاية الجياد، ولا تدري كيف يستطيع قضاء هذا الوقت كله معها. تعرف أن عليه رعاية أفراسه خاصة منها تلك التي يربطها أصحابها للاستيلاء. فالأفراس تكون متوترة قبل أن تضع صغارها وتحتاج إلى رعاية خاصة لكنه يبالي في ما يقوم به.

وهناك أيضاً واجب الحفاظ على الاسطبلات نظيفة، وهو عمل لا نهاية له، وقد يدوم إلى ما لا نهاية دون السماح بأي تدمير... وها هي مزرعته شاهد على الدقة والنظام.

كانت تعلم أن أفضل ما قد يسعد غرائث هو تدريب الجياد، كان يستيقظ باكراً، يأخذ لنفسه أضخم وأخطر الفحول التي يجد صعوبة في السيطرة عليها. ولقد شاهدت بعضها تتلاعب، لكنه كان دائماً يجبرها على الاعتراف بمن هو سيدها.

عندما خرجت قاصدة سيارته المنتظرة كان قلبها يخفق متألماً. لكنها وعدت نفسها أن يكون هذا اليوم يوماً تذكّره إلى الأبد لذا

يجب ألا ترتكب من الهفوات ما قد يكدره.

بدا لها غرائث ساحراً جذاباً وهو يرتدي سروالاً وقميصاً عاجبي اللون. أبرزت الألوان الفاتحة اسمواره الساحر، وأدقات ابتسامته لساحرة قلبها. شعرت عندما قعدت فربه بحرارة لم يكن مردها ليجر أبداً. ترى ماذا ستكون ردة فعله لو اقتربت منه وقبلته؟

سرعان ما وصلا إلى الطريق الرئيسية الموصلة إلى الغابة الكبرى. ومع أنهما كانا صامتين إلا أنها لم تشعر بالقلق لأن الجو بينهما اليوم هادئاً. تمتعت بما يحيط بها من مناظر رائعة، ومن حداثات جميلة وبلدات ضيقة الشوارع. رأت وهما يسيران خزاناً ضخماً، قال إنه يؤمن المياه للمناطق المجاورة.

- هذه المنطقة رائعة لكنها وعرة إذ لم يستطع أحد تجاوز الوادي وصولاً إلى منابع النهر في أسفل الجبل فقد كانت الصخور لصماء المرتفعة تحول بينهم وبين ما يريدونه. لكن كان من المهم أن يجد الباحثون طريقاً ليقطعوا الوادي وصولاً إلى الجهة الأخرى. وقد كان لهم ذلك بمعاونة الدولة التي جهزت فريق عمل كامل استطاع صدفة بعد ثلاث سنوات من إيجاد طريق سهل يقضي إلى الشلالات التي نقصدها الآن.

كانت مائدي تصغي إليه بشوق:

- ما هي هذه القرى؟

- هذه المنطقة تشمل أربعاً وعشرين قرية مختلفة، أعرف أنك ستحبين هذه المنطقة الجبلية في الخريف لأنك ستشعرين وأنت تمشين فيها وكأنك تسيرين في شارع إنكليزي. إذ أن أشجارها تحافظ على اخضرارها طوال السنة.

عندما كانت السيارة تعبر الطريق الجبلية وصولاً إلى الشلالات شاهدت مائدي أشجاراً مزهرة تنجبه نحو واد صغير شديد الانحدار

في نهايته جسر قديم. ويعد أن ابتعدت السيارة عن الطريق الرئيسي تابعت سبيلها متخلدة طريقاً ملتوياً.

لمحت ماندي من خلال فسحات تسمح بها الخمائل الخضراء التي تعد الطريق على الجانبين وادياً عظيماً ثم اقتربت السيارة من فسحة صخرية هي أشبه بعنق الزجاجة الضيق، أطلت على الجهة الأخرى للوادي. وهناك توقفاً:

- إنها أعلى نقطة في هذا الجبل وهي تطل على الوادي من الاتجاهين. وتشرف على النهر والبحيرات.

ثم لم يلبث بعد ذلك أن تابعا البحر حتى توقف من جديد ليقول، هذا موقع الصدى في الوادي:

- اصغي جيداً... أنتسمعين أصوات الطيور تتردد مرات ومرات وكأنها صوت واحد؟ أتودين التجربة؟

حين نزلت وصرخت بلطف، تردد صدى صوتها مرات كثيرة وبشكل مضخم، ثم عادت إلى السيارة مسرورة:

- ما هذه الظاهرة العجيبة، لكن لماذا لون الجبال مائل إلى الأزرق؟

- إنها ظاهرة علمية، سببها انعكاس اللون على ذرات القبار المعترجة برذاذ الماء المنتشر في الهواء من الشلالات القريبة، ويزيده تأثيراً زيت خاص متبخر من أشجار الكالبيتوس لكن هذه الظاهرة لا تخص هذه الجبال فقط بل قد تجدونها في بلاد كثيرة في العالم مع أن الناس هنا لا يؤمنون بهذا.

لمحت ماندي فجأة تلفريك يعبر الوادي من فوق الشلالات مباشرة، فصاحت بطيش:

- اوه... يجب أن نركب إحداها! فابتسم:

- أو لن نخافي؟ المكان مرتفع جداً... قد يبلغ الثلاثمائة متر. التفتت لتقول بكل ثقة:

- بل سأحب هذا.

فكان أن توجهنا إلى محطة الانطلاق، وانتظرا على المنصة حتى وصلت عربة ترجل منها ركبها ثم صعدا إليها وما هي إلا ثوان قليلة حتى سارت فبلغ قلبها حنجرتها، لكن سرعان ما اعتادت على التراجع في الفراغ.

كان منظر الشلالات من علو رائعاً وكذلك الصخور البركانية التي تحيط بمجرى النهر... وما إن وصلا إلى الناحية الأخرى من الوادي حتى أدركت ماندي أنها كانت تنمسك بذراع عرانت وكان حيانها كلها تعتمد على صلابة ذراعه. أما ذراعه الأخرى فقد كان يلفها كالدرع حول كتفها، يضعها لتستريح على صدره... وكان هناك شيء مثير ملحوظ في اقترابها منه في هذا العالم الفضائي الرائع.

لن ننسى هذه المناسبة ما عاشت. وحين أخفض رأسه ليطلع شفها على رأسها، رفعت نظرها إليه وقد اتسعت عيناها، ولم تكن تمي أنهما خضراوان كالوادي تحتهما. وسألها بنعومة:

- هل تستعت بهذا؟

هزت رأسها وهي تشعر بأن مشاعرها حبست الكلمات في حنجرتها... فالتجربة مثيرة وجميلة، تستحق الذكرى. تناغم مع مشاعرها، لطفه، أمران لم تشاركه بهما من قبل. ولم تكن قد اعتادت أن نراه بهذا اللطف لذا أرادت تستفيد من مزاجه هذا إلى أقصى الحدود. وفي طريق العودة التصقت به أكثر فكافأها باحتوائها بقوة:

- خاتمة؟

- قليلاً.. لكنني مضطربة الأعصاب أكثر من أي شيء.. وكأننا في عالم مختلف.. وأنا سعيدة لأنك أحضرتني إلى هذا المكان كما أنني أقدر لك ما تبدله من وقت في سبيل أن تريني هذه المناظر.
فايتسم:

- لقد سبق أن قلت لك إنك تستحقين هذه التزهة وما ذلك إلا لأنك فارسة مغوارة في عملك.. وأعتقد أن علي شكر رايان لأنه السبب في مجيئك إلى هنا.

ليت لم يذكر أبحاء، فاسمه يرمي ظلالاً قائمة على هذا اليوم المشرق.. فما كان إلا أن صاحت بإثارة:

- اوه.. انظر.. هناك خط سكة حديد للسواح.. هل نذهب إلى هناك أيضاً؟
ضحك:

- أنت شيطانة تستحقين العقاب! هل أنت قادرة على تحمله؟
إذا كانت تتحمل قربه منها، فبإمكانها تحمل أي شيء.. فما الدم المتدفق بقوة في شرايينها، وما ضربات قلبها التي تضج في رأسها، بسبب هذه الرحلة البسيطة في المقطورة السلكية، بل بسببه هو وحده.

قالت بهدوء:

- أمتطع تحملها.

- لم تستطع فاليري تحملها بل لم يحدث أن وافقت على الدخول إلى المقطورة المعلقة بين الأرض والسماء.. مع أنها آمنة وتجرى عليها الصيانة والرقابة اليومية.

تساءلت ماندي في نفسها بقلق، لماذا ذكر فاليري في حديثه الآن.. إن ذكر هذه المرأة أفسد سعادتها أكثر من ذكر رايان وذلك لأنها نكره التفكير بأن غرانت كان يوماً مع امرأة أخرى.

ما إن عادا إلى منصة الانطلاق حتى توجهتا ووقفا في صف الانتظار بانتظار القطار السياحي.. بعد أن ركبته تحرك عابراً نفقاً صخرياً انفتح فجأة على نفق ضيق في نهايته منظر لا ينسى هو للجبل الساحر.. وما إن أطلت عليهما الشمس من جديد حتى فوجئتا بانخفاض شديد اضطرت ماندي معه إلى أن تغمض عينيها.. لكنها أحست بالراحة والسعادة فقد اشتدت ذراع غرانت حولها وجذبتها إليه أكثر فأكثر.

كانت الرحلة تستحق كل الخوف في سبيل هذا العناق، وهذا القرب منه.. فما من ظروف أخرى قد يحضنها فيها على هذا النحو الذي جعلها تحس بخفقات قلبه تهددها.. ولم تكن ضربات متسارعة كضربات قلبها، لكنها أسرع بقليل من العادة، أم أن هذا أمل من وحي خيالها؟ ولماذا تهتم؟ فهذه لحظات سعادة، لحظات ستبقى عالقة في ذاكرتها طويلاً.

عندما وصلا إلى المحطة السفلى عبر القطار دغلاً كثيفاً، تحيط به زهور برية مختلفة الألوان، بيضاء وخضراء وقرمزية، إضافة إلى أشجار المطاط والصمغ، والسنط والوزال والصنوبر التي تشكل أساس الغابة التي يحسبها الراي سجاداً خضراء واسعة.
ترجلا من المركبة ومددا أطرافهما.. فلاحظا منجماً مهجوراً عرباته صدئة وعطوطها القديمة.

قال لها غرانت:

- كان المسافرون الأوائل على هذا القطار من المستكشفين الذين اكتشفوا هذا المنجم صدفة، وحين أدركوا أن المكان قد يصبح صناعياً أقاموا المحطة العليا التي أصبحت تعمل يومين في الأسبوع فقط لحمل عشرة ركاب.. وحين أقفل المنجم اشترت الحكومة المكان وحولته إلى مكان سياحي.

ركبا عربة المنجم الخشبية، ومع أنها لم تكن واثقة من سلامتها إلا أن وجود غرائث معها طمأنها وأثر فيها. . . ولو طلب منها أن يجتازا الدغل سيرا لفعلت وهي مستعدة للحاق به إلى آخر العالم.

عندما عادا إلى السيارة. اصطحبها إلى مطعم قريب هو لفندق كبير. وتعمت لها حين قعدت على مقربة منه: - ما أبهاك.

استغربت تعليقه فقد أمضى النهار كله دون أن يعلق بكلمة على مظهرها. كان الطعام ممتازاً لكنها عجزت عن التمتع به، فتفكيرها كان منصّباً على غرائث فقط، الجو الحميم في المطعم أنساها الرحلة لكنه لم ينسها وجوده. عرفت أنه منجذب إليها لكنه يخشى أن تشعر بما يمكنه. فهو يحسبها لطيفة معه شفقة به. مع ذلك فقد كان هناك ما هو متبادل قليلاً بينهما لم يكن موجوداً من قبل. شيء محسوس لم يستطع أي منهما تجاهله. . . شيء لن تتمكن من القضاء عليه الآن لكن الوقت كفيل به.

وما عليها الآن إلا الحذر من القيام بأي أمر قد يثيره أو يفسد ما بينهما فقد تطور علاقتهما تدريجياً بحيث لن يعود بمقدور أحد تدمير هذه العلاقة التي تريد أن تبنينا على الثقة الكاملة لتدوم إلى الأبد. لكن هل تدوم؟ إنها نخشى بعد أن نما حبها ألا تتمكن من إخفائه.

أحست بالراحة عندما أنهى طعامه إلا أنها في الوقت نفسه لم تكن ترغب في أن تنتهي هذه اللحظات الثمينة. لكن، أمامهما بعد اليوم كله، وهي تنوي الاستفادة منه كل الاستفادة.

كان صديق غرائث يعيش في وسط البلدة التي كانا فيها، وذلك

في منزل رائع. أما صديقه هايمش غانثري، فكان رجلاً عريضاً شورد الوجنتين، ذا جسد أشبه بجسد الثور وذا صوت مرتفع لجش، كانت اليد التي شددت على يد ماندي أشبه بالملزمة وقد كانت تهشم عظام يديها.

- إن أصدقاء غرائث أصدقائي.

فردت وهي تفرك يدها:

- لست صديقه بالضبط. أنا مديرة منزله وسكرتيرته في آن واحد.

التوى قم هايمش بشكل مستعاج:

- أنت محظوظ غرائث! أين وجدتها؟ إنكليزية أيضاً ماذا حدث لتلك المرأة. . . كيلى؟ لقد أقسمت ألا تستبدلها بامرأة أخرى في المنزل، هل غيرت رأيك؟ لا ألوئك. . . فهذه امرأة رائعة حقاً ودون أن ينتظر رداً قادهما إلى خلف منزله حيث كان هناك غرفة حديقة. . . وهذه هي الكلمة الوحيدة التي وجدتها لتصف المكان بها. كانت مليئة بالنباتات، والأثاث المعدني. بينما كانوا يشقون الهواء العليل متمتعين، أنت مديرة منزل هايمش التي لم تستطع ماندي تقدير عمرها حاملة صينية عليها مشروبات مثلجة.

قال هايمش:

- كيف نأكلون الطعام في المطعم؟ إن هذا غير لائق، ترى أكنت تريد الاستئثار بسيدتك الجميلة؟ أعذا هو الأمر. . . هه؟

احمرت ماندي خجلاً، فهايمش بظهرها وكأنها من أملاك غرائث الخاصة. لكن لو عرف السبب لبطل العجب.

تحدث الرجلان بعض الوقت عن الأعمال فهايمش يدير مزرعة للجياد.

أخيراً قال هايمش مفكراً:

- أتعلم بمن تذكروني هذه الحسناء يا غرانت. . . بذلك الشاب الذي كان يعمل لديك. . . ذلك الذي انقلب مشرباً.

نظرت ماندي قلقة إلى غرانت وقد أحست بالمرارة. . . فعن غرانت أن يحمله اللوم على ما فعل. . . وسأله غرانت ببرود:

- رايان شيلتون؟ أظن هذا؟

هز هايمش كتفيه:

- قد أكون مخطئاً. . . لقد شاهدت ذلك الشاب الشرير

مدة. . . أتعرف هذا؟ لقد أصبح سائق شاحنة الآن. إنه جريء، فهو يعلم أن هناك من قد يتعرف إليه يوماً.

احتدت ملامح غرانت فجأة، وضاحت عيناه:

- أيقود شاحنته الخاصة؟ أم يعمل في شركة كبيرة؟

- لست أدري يا صديقي. . . كان ينقل أخشاباً ضخمة. ولم يكن

على الشاحنة اسم معين.

- لماذا لم توفقه؟ أنت تعلم أنني أفتش عنه!

ضحك هايمش:

- قد أكون رجلاً ضخماً. . . لكنني لست سوبرمان. . . وما من

طريقة لأوقف بها شاحنة. ولو وقفت في منتصف الشارع، للدسي حالما تعرف إليّ.

هز غرانت رأسه باستسلام:

- أنت على حق طبعاً، لكن أخبرني عندما تراه ثانية. . . فهناك

ما أود تسويته مع ذلك الشاب.

وكانت ماندي ممثلة لأن غرانت لم يذكر قرابتها لرايان أمدا

هايمش الذي لا بد أن يعرف يوماً ويتساءل، ترى أشك والداه في

أن مكروهاً أصابه؟ أكانا مسافران إلى هنا كما كانا يقولان؟

وسمعت هايمش يقول قاطعاً أفكارها:

- ما زلت أظنها تشبه رايان. ربما تكون صدفة، ألا تظن هذا؟

ربما من الأفضل أن نحذر منها.

وضحك. . . إنه يقصد المزاح، لكنها أحست بالإهانة ونظرت

إلى هايمش بغضب. وقبل أن تتكلم قال غرانت:

- ماندي فتاة حساسة هايمش. . . لا يجب أن تقول أشياء كهذه

عنها، لقد أغضبتها.

تغيرت تعابير وجه هايمش:

- لم أحن هذا يا فتاتي. . . ولن أرغب في إيلاكم ولو مقابل

لدنيا كلها. كما أنني أحترم رأي غرانت وحكمه. وما كان

سيوظفك لولا أمانتك وصدقك. لكن درساً لا يُتسى من رايان

شيلتون. ومن المؤسف ألا يكون ذلك الشاب قد حافظ على ثقة

غرانت به.

بقيت ماندي صامتة بصعوبة، لكنها لن تتخلي عن الدفاع عن

رايان ولو كان مخطئاً. . . إنه كل عائلتها، والرابط العائلي يعني لها

أكثر من أي شيء.

لم تنفوه بكلمة إلا بعد أن انطلقا في طريق العودة. . . فتحنيت

لفرصة لشكر غرانت:

- أشكرك لأنك لم تخبر هايمش أنني شقيقة رايان.

- هذا أقل الواجب. أعلم أنك عادة تركبين أعلى ما في خيلك

للدفاع عن أخيك الذي لا جدوى منه. ولم أكن أرغب في أن أجز

هايمش إلى خلافاتنا. لكن سررتني معرفة أنه في المنطقة. . .

فسألفاه، أنا على ثقة من ذلك وعندما سأوقع به انتقامي.

ردت بغضب:

- أتصور بذلك الكبيرتين تحيطان عقده، لئمنعا عنه التنفس حتى

تعدم منه الحياة. هل مستمتع بفعلتك؟

- إن هذا خير عقاب أوقعه به.

ظهرت الكراهية على وجهها، وأحست بأن قلبها يترق:

- حين تتكلم هكذا غرائث، أفقد إعجابي بك.

رد بحدة:

- وهل أعجبتك يوماً؟ لا تصعبي الأمور على نفسك بجزء ذكر

رايان إلى الحديث في كل مرة.

- أنا لم أذكره بل صديقك فعل. في تلك اللحظة كان آخر

أود سماعه هو اسمه!

- آخر ما تودين سماعه؟ وهل تخليت عن فكرة التفتيش عنه؟

- تعرف تماماً ما أعنيه. وأنا أنذرك فلو وضعت اصبعاً على

أخي لجعلت الشرطة تلقي القبض عليك قبل أن يرف لك جفن أو

لا أحاول الدفاع عنه، لكن عقابه لم يוכל إليك تنفيذه.

وبدت الرحلة وكأن لا نهاية لها. فقد تكهروا الجو بينهما،

وخافت أن تتكلم لئلا يحدث شجار حقيقي بينهما. ولم يحاولوا

غرائث كذلك التفوه بكلمة.

لن تتواني الآن، بعد أن أصبح لديها بعض أوقات الفراغ، من

قضاء يوم كامل في أوكلاند. فاليري وحدها قادرة على مساعدتها،

ستزورها ثانية ولن تتراجع قبل أن تحصل على عنوانه، ولها الحق

في هذا. تساءلت لماذا تخاف فاليري على رايان؟ هل هددها يوماً؟

تري كيف أصبحت أخلاقه؟

أخيراً... أدركت أن الغضب من غرائث لن يوصلها إلى أي

مكان... فإن غضب منع عنها الذهاب إلى أوكلاند وأبقاها سجين

كما كانت قبلاً. لذا من الخير لها البقاء في الجانب الصحيح معه.

فما كان منها عندئذ إلا أن أجبرت نفسها على الانسحاب بدل

العبوس... وقالت:

- آسفة... ما كان يجب أن أكلّمك بهذه الطريقة، أعرف ما

تشعر به تجاه رايان، وأفهم سبب مرارتك هذه... وأظني لو كنت

مكأنك لشعرت بشعورك هذا... لكن يجب أن نفهم أنه أخي

لوحيد وأنتي تم أقصد بلادك إلا بحثاً عنه، عذراً على ما تفوهت

بـ.

نظرت إليه دهشة وهو يوقف السيارة جانباً ويلتفت إليها وعلى

وجهه ريبة:

- لبت اعتذارك صادق.

- ولماذا تظنني غير صادقة؟

- لأنك سرعان ما تمتعطين ما ان يذكر اسمه بسوء. وتسرعين

إلى الدفاع عنه، فكيف تتراجعين الآن؟

- أنا لم أراجع عن الدفاع عنه... لكنني شعرت بأنني مدينة

لك باعتذار علمت أنك لن تقبله.

فجأة زالت العدواة عن أساريه. وتضاعفت البسمة بطيئة إلى

وجهه ملطفة قسماته الغاضبة.

- أصدقك ماندي... يجب أن أغضب من ذلك الأبله هايمش

لإفساده يوماً رائع.

- أنتظنه يوماً رائعاً؟

ضحك:

- إنه أروع يوم أمضيتاه معاً.

إنه اعتراف مثير للاهتمام! فليس من عادته قول شيء كهذا.

- إذن... عدنا صديقين كما كنا؟

هز رأسه وكأنه ضائع:

- إنك تسيطرين علي بطريقة ما يا ماندي... والله يعلم ماذا

فبك ليؤثر فيّ إلى هذا الحد. معك أنسى نفسي. أنت الشخص

الوحيد الذي بت أستريح إليه . مع أنني أجهل السبب فأنت شفيقة رايان، لن أفهم . وما كنت لأعتقد أنني سأرتاح مع أنني ثانية .
تصاعدت خفقات قلبها وعلا صداها وضج في رأسها .
وأحست بجفاف في فمها، فنظرت إليه وشفتاها متفرجتان .
وأفاسها تتسارع وهمست :
- ما أسعدني !

وكان هذا كل ما استطاعت قوله ، لأن غرائث تأوه واحتضها وقال متمتماً وقمعه فوق شعرها :
- اووه . . ماندي . . ماندي .

بعثت علوية عنقه الدم حاراً في شرايينها فرفعت جسده لتلتصق به ، ثم التفت يداها خلف عنقه ، في تلك اللحظة ما عادت تعي شيئاً إلا هذا الرجل الذي يسلبها عقلها ويجعلها مجنونة .
وجاشت الرغبة في نفسها، وغنت في عروقه وأدارت لها رأسها .
وخفق قلبها بوحشية وألم، ومسمعت موسيقى صاخبة لا نغمة لها في أذنيها .

تمنت لو أنهما في البيت بدلاً من السيارة الواقفة جانباً على الطريق العام حيث السيارات تمر بهما، فيرى ركبها تعرض المجاني الذي يقدمانه . لكنها لم تكذب تلاحظ، بل لو كانت في غرفة محشدة بالناس لما اكرمت .

ونسي غرائث ما دمع به نفسه من أنه رجل غير مرغوب . فقد أخبرها عن عنقه أنه تحت خطر إطلاق العنان لعواطف كبتها منذ سنتين . ولو لم يكونا في مكان عام لتجاوز العناق بكثير . لكنه أخيراً ابتعد عنها وأحاطت يده وجهها :

- أسف . . لكنني كنت مضطر إلى معانفتك . فأنا بأمس الحاجة إليك ماندي . . أحتاجك بئس .

وجدت ماندي صعوبة في الكلام، كان فمها جافاً، مرتجفاً .
وضعها في حالة غريبة لم يسبق أن مرت بمثلها قط .
قالت مقطوعة النفس :

- لا تعتذر . . فهذا ما أردته أنا كذلك يا غرائث . . إنه نهاية جميلة ليوم جميل .

- لم ينته بعد . . أريد المزيد . . والمزيد . . أريدك أريدك . . .
ماذا تفعلين بي بحق الله ؟

دفنت رأسها في صدره، وعقدت ذراعيها حول عنقه، دون أن تنكلم . فلا حاجة إلى الكلام ما دامت حركاتها تغني عن هذا .
دفعها عنه بلطف شديد إلى مقعدها، ومرر يديه المرتجفتين في شعره ثم مسح عدة أنفاس عميقة قبل أن يشغل محرك السيارة ويتطلق بها إلى الطريق .

لم تقو على الصبر حتى يصل إلى المزرعة، كانت تعلم أنه سيكمل ما بدأه، لكن في هذه المرة ما من حواجز أو عراقيل .
سيكونان في خلوة تامة و . . وما عادت تستطيع التفكير في أبعد من هذا . . .

اووه غرائث . . أرجوك . . أرجوك . . أنا أحبك وأريدك، لكن لا تفقد الأمور علي . . .

بدا وكأن لا نهاية لهذه الرحلة لكنهما وصلا أخيراً . انعطفت إلى الطريق الترابية المفضية إلى المنزل، وتسارعت دقات قلبها مضاعفة بطريقة ما توقعتها أبداً . كان كل نبض فيها وكل عصب يقفز ويؤررد ومالت نحوه باندفاع طائش وعانقته .

أمسك وجهها بيده وقبل عينيها، ثم التفت إلى قيادته وأوقف السيارة في الفناء الخلفي . لكن ماندي صدمت صدمة كبرى فقد رأت سيارة غريبة مركونة هناك، ما من أحد يزور المزرعة دون

دعوة، إن آخر ما تريده زائراً في مثل هذا الوقت. شعرت وكأن غرانت شعر بالإحساس ذاته.

بعد التحديق بالسيارة الفخمة عدة لحظات التفتت متسائلة عما إذا كان لديه فكرة عن هوية الزائر. كان التبدل الذي طرأ على وجهه درامياً لم تتوقعه. فقد شحب وجهه كالأموات، وابتضت شفاهه الرقيقتان. وتلاشى ذلك الرجل الذي أثارها منذ لحظات بوعود لم يتفوه بها.

لعبت ذراعه متسائلة بهمس:

- ما الخطب غرانت؟

نظر إليها فصدمتها الأشباح المظلمة في عينيه، فعلمت أن هذا الزائر كائن من يكون مرفوض هنا.

* * *

٧ - عودة الغائب

صاح غرانت بصوت أجش غاضب:

- إنها قاليري! نيا لها، ماذا تريد؟ أنا لم أرها منذ رحيلها ولا

أريد رؤيتها.

كان يرتجف بشكل ظاهر، فلعبت ماندي بصمت المرأة الأخرى

على ظهورها المفاجيء، وسألته بلطف وهي تود لو تلمسه، لكنها

خشيت رفضه:

- وكيف عرفت أنها هي، قلت إنك لم ترها منذ سنتين. كيف

تعرف أن هذه سيارتها؟

نظر إليها بحدة:

- رأيته يوم اصطحبتك إلى شقتها. إنها لها دون شك، لكن

لماذا جاءت اليوم، هذا ما أريد معرفته؟ لكنني أرفض رؤيتها!

لم يتحرك من مكانه خلف مقود السيارة، على الرغم من مضي

دقيقة كاملة عليهما هناك، لم تكن ماندي تريد أن يراها كذلك.

لكن، ليس بإمكانهما تشغيل السيارة والابتعاد. فقاليري دون شك

شاهدتهما يصلان من خلال إحدى النوافذ وهي تتسائل الآن عما

يؤخرهما...

قالت ماندي مترددة:

- ربما تحمل إليك عملاً؟ أو ربما أتت تراني لتخبرني شيئاً عن

رايان ومكانه.

لم تستطع كبح إثارتها المفاجئة، فقفزت من السيارة دون أن تنتظر غرانت، وقد طار من رأسها كل ما كانا مقدمين عليه. هزعت إلى المنزل، فوجدت فاليري في غرفة الجلوس المريحة مستريحة، منتعشة وأنيقة.

نظرت فاليري بيروود إلى ماندي بشموخ:

- أين كنتما بحق الله؟ لقد انتظرت ساعات!

كانت ماندي ما تزال مبتهجة من جرّاء عناق غرانت. وفشلت طباع هذه المرأة المتعجرفة في التأثير على معنوياتها. هذا عدا عن الإثارة التي لقيت نفسها انتظارا لخبر ما عن رايان! فأجابتها بهدوء:

- كان يجب أن تعلمينا مسبقاً بقدومك، هل جئت بخصوص رايان؟ أهو مستعد لرؤيتي؟ أمعك عنوانه؟

رفعت فاليري رأسها بخيلاء وعيناها باردتان غير مكترتين، وقالت بتعجرف:

- لم أقطع هذه المسافة كلها لأعطيك رسالة، أريد رؤية غرانت. أين هو؟

التفتت ماندي وراءها، فلاحظت أنه لم يلحق بها إلى داخل المنزل، وتنحنحت تحس بضيق في حنجرتها:

- إنه قادم.

لماذا تود رؤيته بعد هذا الوقت الطويل؟ قفزت هذه الفكرة إلى رأسها، لكن ابتسامة الرضى التي شاهدها على شفطي المرأة أكدت وساو منها:

- فكرت كثيراً فيه منذ ذلك اليوم الذي زرّنتي فيه، وربما أنت على حق وربما تسرعت في القرار لذلك عدت لأرى بتضي الأذى

الذي سببه أخوك لوجهه.

أحسّت ماندي بأن كل ذرة سعادة اعتملت في نفسها اليوم تتلاشى. فمع أن غرانت كان يقول دائماً إنه يكره هذه المرأة التي تخلت عنه، إلا أنه كان يحبها مرة وقد طلبها للزواج... ولا سبب يحول إطلاقاً من الوقوع في حياتها من جديد، خاصة بعد أن ثبت أن لا أساس لمخاوفها، وأن جروحه لا تهمها.

أحسّت بالدمار وهي تنظر إلى فاليري، كانت عيناها الخضراوان متسعيتين وفهما فارغاً، فسألتها فاليري بسخريّة لئيمة:

- أصدمتك؟ أظنك لم تتوقمي هذا... لقد كنت تلعبين لعبة معه. لست دهشة... فهو رجل جذاب، هذا على الأقل ما كان عليه قبل أن يشوهه أخوك. اعترف أنني لا أستطيع الانتظار حتى أراه حالياً.

ردت بقناعة لا تشعر بها:

- إنه يرفض رؤيتك. وأظن أن ما فعلته مقرف! بل أظنك وقحة في مجيئك إلى هنا... ولن تصلي إليه. لقد انتهى أمرك حين هجرته، ولو كنت مكانك لرحلت قبل أن يفرم لحملك.

لمعت عينا فاليري بخشونة:

- اسمعوا من يتكلم... لا يحق لك التفوه بكلمة بعدما ارتكبه أخوك بحق.

- وهل الأمر بيدي؟ لا يقع اللوم على كاهلي أبداً.

- أشك في أن لغرانت هذا الرأي، أو نسيت أنني أعرفه خير معرفة. لا ريب ولا شك في أنه يعتقد أن أي فرد من أفراد عائلتكم يشبه الآخر.

كان هذا صحيحاً، في ما مضى. أما الآن فقد تغير معها. وهناك علاقة بينهما قد تكون رائعة إن لم نفسلها هذه المرأة

الكرهية! وتابعت الشقراء بوقاحة:

- الله أعلم بما فعلت به من جهتك... لكن لا تبني آمالك
عالياً... فما دمت هنا، لن ينظر غرانت إلا لي وحدي.

تناهت في هذه اللحظة إلى مسمعي ماندي حركة وراءها،
فعلمت أن غرانت دخل الغرفة، لكنها ركزت نظرها على فاليري
خائفة من النظر إليه.

كانت المرأة أبرع في التمثيل مما تصورت ماندي. لم تبد أقل
الزعاج من جرحه إلا بحركة لعضلة واحدة في وجهها لم نلاحظها
سوى ماندي. لكنها سرعان ما غطت البسمة وجهها، وتقدمت
نحوه، ولم تتوقف إلا بعد أن قال بخشونة:

- فاليري! ماذا تفعلين هنا؟

عرفت ماندي أن من واجبها تركهما وحدهما، لكن قدمتهما
كائناً مسمرتين. راقبت المنظر أمام عينيها وكأنه تمثيلية فوق
المسرح.

- غرانت حبيبي... لم أستطع الابتعاد عنك أكثر... كنت فاسقة
شريرة. أعلم هذا... لكنني ثبت إلى رشدي أخيراً.

جعلت لهجة فاليري الزائفة ماندي تحس بالغثيان. فقد كانت
تلك الخبيثة تتكلم ونغمة اليأس والعذاب في صوتها... وأصبح
وجه غرانت جامداً خالياً من الأحاسيس:

- أي جنتي لتري ما أبدو عليه الآن؟ حسناً... هنا أنا أمامك،
أعني النظر.

وأدار خده المجروح إليها، فضحكت عالياً، ولم يظهر على
وجهها إلا صدمة بسيطة.

- لكنني أعرف تماماً ما تبدو عليه حبيبي... لقد أخبرتني
ماندي التي هي في الواقع سبب وجودي هنا اليوم. وأعتقد أن علينا

شكرها. لقد جعلتني أدرك أنني كنت أنانية... حبيبي ألا تغفر
لي؟...

وتقدمت خطوات.

يا رباه! كيف لهذه المرأة هذا الفجور كله؟ ليت غرانت يرى
تمثيلها. فلو أظهر أدنى ضعف لعجزت عن تحمله.

التفت غرانت إلى ماندي التي تمكنت من رسم ابتسامة شاحبة
على فمها، لم تشاهد في حياتها مثل هذه النظرة السقيمة على وجه
رجل من قبل. ترى في ما يفكر؟ أفكر في أن يمنح فاليري فرصة
أخرى، أم استطاعت تلك المرأة فعلاً تدمير كل الفرص الممكنة
يوم تخلت عنه في المستشفى؟

سمعته يقول بقوة:

- لا أعتقد أن ماندي فضدت أن تجعلك تحسین بلذتك. إنها
فتاة صريحة، وإذا قالت لك ما نظنه بك، فهي إذن كانت تحاول
حمايتي أنا... منك.

فجأة ما عادت فاليري واثقة من نفسها فالضفت إلى ماندي،
تنظر إليها نظرة ملؤها الحقد حتى ذعرت ماندي لكن ما هي إلا
لحظة حتى سيطرت فاليري على نفسها، فنظرت إليه بابتسامة جميلة
مفتعلة مقصودة.

- كائناً ما كان خلف كلمات ماندي يا غرانت... فقد ردني إلى
صوابي... كنت حقاً... وأنا أرى الآن أنك لست مشوهاً كما
اعتقدت.

نظرت ثانية إلى ماندي فغرانت وأردفت:

- ربما... حبيبي... قد نتكلم في هذا الموضوع على حدة؟
ابتلعت ماندي لعبها بصعوبة، وارتدت على عقبها تغادر
الغرفة وتحس بثقل في قدميها... لكن ما إن أصبحت على مقربة

من غرانت حتى أمسك بها:

- إن ما قد يقال بيننا يا فاليري، يمكن لمائدي سماعه، لقد أصبحت صديقتي.

لوت المرأة شفتيها المطلبتين بلون قرمزي:

- هكذا إذن... أيعني هذا أن لا أمل أمامنا لاسترجاع علاقتنا.

رد ببرود:

- بل يعني أنك امرأة غير مرغوب فيك في هذا المنزل. لقد أقسمت حين تخليت عني ألا أعيدك ثانية. وكنت يومذاك أعني ما أقول وما زال قرارى هو هو.

كان ما يزال يمسك بذراع مائدي. أصابعه تضغط على لحمها دون رحمة. أرادت أن تصرخ، لكنها صرّت على أسنانها، وقالت:

- أرى غرانت، أن من الأجدى الاختلاء بها قليلاً.

أمسك بوجهها بين يديه ينظر إلى أعماق عينيها:

- قد تكونين على حق، ثمة ما نحتاج إلى توضيحه، لكن لا

ننسى أن بيننا عملاً لم ينته بعد.

وابتسم لها ابتسامة كانت الأولى منذ وصولهما إلى المنزل، فهمست:

- سأكون بالانتظار.

وخرجت من الغرفة على مضض، وأغلقت الباب خلفها بهدوء، أرادت أن تصفق الباب في وجه فاليري وأن تصرخ بها، وأن تطلب منها المغادرة فوراً. لكن غرانت بدا واثقاً من نفسه حين قال إنه سيرأها فيما بعد. وهي واثقة من أن فاليري لن تجعله يغير رأيه.

بدا لها أن دهرأ قد مرّ قبل أن ترحل فاليري... لكن غرانت

لم بات ليرأها بعد أن غادرت. لم تدرك أنها اعتمدت على كلامه كل الاعتماد حتى هذه اللحظة، إنها تفهم أنه بحاجة إلى فرصة لالتقاط أنفاسه، لكن...؟

اغشست، وارتدت فستاناً قطنياً خفيفاً وردي اللون، ثم تركت غرفتها تبحث عن غرانت، فإن لم يسع إليها، فستسعى إليه.

وجدته في مكتبه، يجلس وراء الطاولة في المكان الذي كان له حين التقته للمرة الأولى. ما إن طالعها وجهه حتى هبطت روحها المعنوية إلى الحضيض فقد عرفت أنه لن يحدث بينهما شيء ذلك اليوم.

إنه لم يرفع رأسه إليها حين دخلت، بل كان يحدق ساعماً في الطاولة، بل لم يدرك وجودها إلا بعد أن لفظت اسمه، وسأته:

- كيف سارت الأمور؟

انطقاً من عينية اللامعتين عادة كل بريق، حتى صعب عليها أن تصدق أنها رأت فيهما منذ أقل من ساعة بريق الرغبة والحب.

- تريد فاليري أن تكمل علاقتنا من حيث توقفتنا.

غاص قلبها إلى أعماق الأشوار وهي ترى آثار الاستسلام على وجهه:

- وماذا قلت لها؟

إن مستقبلها كله متعلق برده الآن، فابتلع ريقه بينما راحت هي تراقب حنجرتيه تصعد وتهبط، فلاحظت التوتر على يديه وهو يمسك بذراعي المقعد:

- وافقت على التجربة.

لم تصدق مائدي ما سمعته لكنها أحسّت بألم حاد في حنجرتها:

- لماذا؟ بالله عليك لماذا؟ أترضى بعدما فعلته بك؟

- قالت إنها أخطأت، وإنها أرادت دوماً أن تأتي لتراني لكنها كانت تخشى ردة فعلي.

- وصدقتها؟ ألم تلاحظ أنها لم تظهر على المسرح قبل أن أظهر أنا. هل أنت على يقين من أن الغيرة ليست السبب؟ ألا نعتقدنا نرفض أن يكون في حياتك امرأة أخرى؟ تكون غيباً إن تركتها تفعلك!

دفع نفسه ليقف ثم دنا منها وأمسك كتفها بقسوة:

- أنت لا تفهمين ماندي... أعرف فاليري منذ مدة طويلة و... انسلت منه غاضبة يائسة:

- أفهمك جيداً غرانت... يا الهي... لقد كذبت تنالني! وما أنا أرى أنك لم تكن تريدني أنا... بل امرأة... أية امرأة... وانك كنت طوال الوقت نحن لغاليري، التي ما تزال تمسك خيوط قلبك بيديها... وما كان عليها إلا أن تفرق بأصابعها حتى تركض إليها. أنت تبعث الاشتزاز في نفسي.

- ماندي... أرجوك! أرجوك حاولي أن تفهمي!

- أفهم ماذا؟ أفهم أنك سعيد بانتهاء أيام الانتظار؟ لقد كانت الستتان الماضيتان جيئاً لك. كنت بانتظار أن تثوب إلى رشدك؟ ما دامت لم تغب عن بالك فلماذا لم تسع إليها؟ أجبتني عن هذا...

هز رأسه ببطء وجبينه متغضن ألماً.

- ليس الأمر كما تصفين.

نظرت إليه ببرود وهي تنرف من الداخل:

- إذا كنت تحبها إلى هذا الحد فلنزع منزلك ولنقم بأعمالك المكتبية اللعينة لأنني ذاعبة... فلن أبقى هنا بعد أن استغفلتني! بدا الغضب على وجهه:

- أظنك نسيت العقد الذي وقعت، عليك البقاء سنة كاملة، اثني عشر شهراً لا تقل يوماً.

لم تصلق... إنه مجنون! صاحت به:

- أيها النذل! كيف تجرؤ على أن تفعل بي هذا؟ إذا كنت تحسبني باقية حتى أرى نودد تلك الفاجرة الصغيرة الرديئة، فأنت مخطئ... أنا راحلة الآن. وما من طريقة لإيقافي!

وخزت الأدمع عينها فأسرعت تعدو لتخرج من الغرفة قبل أن تتدفق. لكن كان غرانت كالعادة أسرع منها، فأمسكت يدها كتنفها، وأدارها لتتظر إليه... ففتحت فمها لتحتج، لكنها وجدت وجهها بين يديه يرفعه نحوه... كانت تريد أن يعانقها لكن ليس هكذا، وليس لهذا السبب، فركلته على ساقيه وضربت صدره بقيضتها... لكن دون جدوى.

كان يعانقها بقسوة وكأنه يعانقها على ما تفوت به... لكنه كان في الوقت ذاته يحرك في داخلها رغبة مؤلمة. راح صدرها يعلو ويهبط في محاولة منها للسيطرة على ذاتها... تكرهه وتحب في آن واحد... تريد وترفضه في الوقت نفسه. كانت مقاومته أصعب ما تفعله... لكن يجب أن تقاومه... لقد خسرت أمام فاليري، وكل ما يحاول فعله الآن هو إنقاذ ماء وجهه.

حين رأت أنه لن يدعها وشأنها مهما كانت الظروف، قررت أن تضربه على أخطر موضع. لكنها رفضت الفكرة أمام الخضوع له بهدوء، فهذه طريقة فيها أثوثة، وقد تخرجها من ورطتها هذه بكرامة... لكن بقاءها مشتملة بجمود ويرود وكأنها تمثال حجري، جعل نبضاتها على شفير الانفجار وقلبها على حافة التحطم فوق عظام صدرها... لكنها خسرت قبل أن تفوز به حقاً. وعلاقتها كانت أقصر عمراً من أي شيء آخر في الدنيا.

ما إن شعر بمقاومتها تتلاشى حتى تركها، قائلاً:

- عديني أن تبقي هنا، التزاماً بشروط عقدك.

بدا لها وكأنه يعاني من آلام مبرحة، وكبرته لأنه سمح لفاليري بأن تسيطر على إرادته الضعيفة.

- وما هي خياراتي الأخرى؟

- لا شيء! لكنني سأبقيك هنا بالقوة لو اضطررت.

- لئيتي لم أوقع ذلك العقد اللعين! ما اعتقدتني سأصل إلى هنا. خلّفتي سأنتمع بالعمل، لكن إذا حسبت أنني سأنتمع برؤية فاليري معك فأنت مخطئة. إذا اقتربت هذه المرأة مني فسأنتزع عينيها. ولا تخفّطين بهذا أبداً.

ابتسم بخشونة، وكأنه يجد السعادة في كلماته الخشنة:

- لن نطأ هذا المنزل أبداً.

وهذا يعني أن يذهب هو إليها كيف يستطيع من تمضية الساعات الطويلة وحدها أثناء غيابه؟ راحت مخيلتها الخصبة منذ الآن تتصورهما معاً متعاقبين يعوضان عما فاتهما. إنها أفكار تحطم القلب، لكن ما من شيء نستطيعه حيالها... فأخففت رأسها وقالت:

- أعدك غرانت... هل أستطيع الذهاب الآن؟

كان رأسها منخفضاً، كتفاها محدوديتين، ولو رفعت نظرها إليه لشاهدت العطف والحنان في عينيّه، لكنها لم تكن تريد النظر إليه ثانية... لقد حطم قلبها، ومع أنها تعرف بأن هذا أمر ستتخطاه مع الزمن إلا أن هذا لن يتم خلال وجودها القسري هنا.

قال لها وهي تسير نحو الممر مكسورة الخاطر:

- أنا آسف... أنا حقاً آسف ماندي. صدقيني... لو استطعت

أن أغير مجرى الأمور بطريقة أخرى لفعلت.

لم تفهم ماندي ما يعنيه، كل ما عرفته أنها فقدت الرجل الوحيد الذي أحبه.

وكانت الأيام القليلة التالية، جحيماً لا يطلق... عملت فيها أكثر مما مضى... ليس لأن غرانت كان يجبرها، بل لأنها الطريقة الوحيدة لئلاهي تفكيرها. كان يغيب معظم الوقت ليقتضيه طبعاً مع فاليري التي لم تظأ قدماها المزرعة.

لم تعرف ماندي مثل هذا العذاب في حياتها فماذا تفعل والأشهر المنقبة أمامها طويلة طويلة. فكرت في خيلة للهروب. لكن شيئاً ما كان يمنعه دائماً.

وليس لأنها ملتزمة بالعقد بل لأن صاحبه غرانت، فهي رغم ما نرى من اهتمامه بفاليري لم تكف عن حبه، لم تستطع إقناع نفسها بالرحيل. وكان هذا عذاباً تنزله بنفسها، لكنها أحست بأنها تستحق العقاب على غيابها وعلى ما أوقعت نفسها فيه منذ البداية.

لا ننكر أنه لم يكن بينهما علاقة... لكنهما كانا على قاب قوسين أو أدنى منها. وكانت واثقة بأنهما سيثورطان عاطفياً في أمد غير بعيد.

أخذ ماكس يتلذذ بإصرار بشأن الطريقة التي تدفع بها نفسها. - متمرضين نفسك... لماذا؟ كل من يراك يظن غرانت يسوقك بالسوط؟

نظرت إليه متعبة:

- ألم يخبرك بعودته إلى فاليري؟

هز العجز رأسه:

- هو لا يقول شيئاً... لكنني شاهدت ما يحدث بنفسه... أرى أن عليه أن يفحص عقله. لهذا السبب تجهدين نفسك بالعمل.

التخرجيه من قلبك وعقلك؟

هزت رأسها باضطراب:

- سارت الأمور على ما يرام حتى ظهرت هي. كم أكرهها!
- اعتقد أنها تبادل لك الشعور ذاته، لا تشغلي نفسك بها.
غرانت أدركت من أن يترك امرأة تسيطر عليه.

ردت وهي تعلم أنها غبية:

- الحب يفقد الإنسان اتزان. الحب يقيد حكمتك، ولقد فقد
غرانت حكمته أمام فاليري التي لم يتوقف عن حبها يوماً. أتوقع أن
يعلم خبر خطوبتهما في وقت قريب.

وعندها سذهب... فلن تبقى ثراه ملتزماً بفاليري... وحتى
ذلك الوقت، هناك أمل ضئيل في أن تفشل علاقته بها مرة أخرى،
واستمر ماكس يهز رأسه وعيناه الزرقاوان مضطربتان:

- إنه بحاجة لمن يكلمه بقسوة، لكن المشكلة أنه لا يصغي
أبداً. حاولت مرة أن أشرح له نوعية تلك الفتاة وذلك قبل أن ترحل
لكنه لم يصغ بل أصغى فقط إلى صوت قلبه. أنا لم أحب زوجتي
إلا بعد أن تزوجنا... وقد أصبحنا صديقين، لهما الاهتمامات
نفسها... لكن بعد أن عشنا معاً فترة طويلة، اكتشفنا أخطاء بعضنا
بعضاً، ولا أستطيع القول إنني أحببتها حقاً... لكن علاقتنا توثقت
مع الزمن وتعمقت أكثر من ذلك اللعين الذي يسمى الحب.

كانت هذه خطبة طويلة من ماكس، لكن ماندي عرفت
مضامينها... كان يحاول أن يقول لها إنها حمقاء لأنها تحب
غرانت، ربما تزوج ماكس امرأته عن غير حب، لكن هذا لا يعني
أنها قد تتوقف عن حب غرانت الذي تريد أن تعضي بقية حياتها
معه. وهي على يقين من أن حبها لن يخبر أو يهن أبداً.
وابتسمت:

- شكراً لك ماكس... ليت كلامك يعينني.

- هزني عليك ماندي... لا جدوى من كل هذا إن مرضت...
أبنتى أحد العمال الذين استخدمهم غرانت مؤخراً إعجابه بك، وهو
شاب وسيم، فلماذا لا تخرجين معه؟ أنت تستحقين بعض التسلية!
نظرت إليه بحزن:

- كيف لك أن تقترح أمراً كهذا؟ أنت تعرف مشاعري تجاه
غرانت. ولا أريد الخروج مع أحد.

- لكن هذا سيقيدك، سأحدث إلى الشاب. أناذنين لي؟

- لا أرجوك. كيف أكون رفيقة رجل وقلبي مشغول بأخر.

لكن، خلال الغداء لاحظت نظرات مايك كيندل إليها، ولم
تدهش حين تأخر عن الانصراف. كان شاباً جميل الطلعة وجهه
مستدير مرح، وبسمته جميلة.

- ما رأيك بمرافقتي الليلة طلباً للتسلية؟ تقاضيت أجري اليوم.

نظرت إليه ببرود:

- قلت لماكس إنني لا أريد الخروج معك، ألم يبلغك

الرسالة؟

- أوه، بلى... لكن من عادة النساء أن يغيرن رأيهن... فما

رأيك؟ أنت بحاجة إلى بعض التسلية، لأنك تجهدين نفسك
بالعمل.

- ربما يعجبني العمل. ألا تظن أن هذا هو السبب؟

- وأنا أحب العمل... لكنني أحب التسلية والمرح أيضاً، هيا

ما الضرر في هذا؟ سأريك جانباً من المدينة لم تراه من قبل.

لكنه قهر صمتها قبولاً وتابع:

- سذهب في السابعة، فكوني مستعدة.

واختفى قبل أن ترد عليه بكلمة. ابتسمت لنفسها... ليس شاباً

سيئاً، لذا لا ضرر من الخروج برفقته. هو خير من بقائها وحيدة

تعذب روحها بالتفكير في غرانت وقاليري.

حضرت سلطنة لعشاء ماكس وغرانت مع أنها تشك في عودته باكراً، فقد اعتاد على التأخر في العودة، وهي لم تكن تنام قبل عودته. وقد حدث أن غاب ليلة كاملة عن البيت فبقيت مستيقظة طوال الوقت تفكر كم ستصبر على هذا الوضع.

حين أطل مايك كيندل عليها في السابعة كانت جاهزة، ولأنها تصورت الأمكنة التي سيصطحبها إليها. ارتدت سرورال جينز وقميصاً يمنع عنها الحر. وقد تأكدت مخاوفها فعلاً حين رآته يرتدي الجينز أيضاً.

- أنا مسرور لأنك غيرت رأيك. كنت أعرف هذا. فهذه طبيعة النساء.

- ما هذا الكلام!

ضحك وهي تلحق به إلى سيارته. لقد أعجبها هذا الشاب فهو مختلف عن غرانت وميساعدها دون شك في التغلب على مشاكلها ساعة أو ساعتين.

اهتزت سيارته طوال الطريق وكأنها على وشك السقوط قطعة قطعة... وسألها بفخر:

- ما رأيك بهزازه العظام هذه؟

ضحكت ماندي:

- لا يهم إن كانت تقلنا من مكان إلى آخر.

- ليتني أستطيع شراء سيارة كسيارة الرئيس الكبيرة أو كسيارة الصغيرة الرياضية التي طالما تخيلت نفسي أقودها. لقد خرجت معه من قبل، أليس كذلك؟

- مرتين أو ثلاثة.

- أنعملين هنا منذ مدة؟

- منذ شهرين.

- أما أنا فم منذ أسبوعين، وأشك في أن يطول بي المقام. فأنا أحب السفر كثيراً، وأمل من البقاء في مكان واحد... ما الذي جلبك إلى هنا؟ ألدبك أقارب؟

إنه سؤال بريء تماماً. لكن ماندي انزعجت رغباً عنها:

- لدي أخي هنا.

- ولماذا لا تعيشين معه؟

- لقد انتقل إلى مكان آخر ولم أستطع اقتضاء أثره لأنني أحتاج إلى مال وهذا ما دعاني إلى قبول الوظيفة.

بدا الاهتمام على مايك:

- ما اسمك؟ أنا أقابل الكثير من الناس، وقد أعرفه.

- رايان شيلتون.

فكر قليلاً وهي مترقبة:

- آسف... لكنني سأحفظ الاسم وإن حدث أن التقيته أخبره عن مكانك.

- لكنني أفضل أن تخبرني أنا بمكان وجوده، أود مفاجأته.

- أنت تحيريني، فلست كالفتيات اللاتي أقابلهن ولا أراك إلا عاملة بجهد ممتعة عن الخروج أبداً.

هزت كتفها:

- لقد سبق أن قلت إنني لا أملك مالاً أو وسيلة نقل.

- اسمعيني، حين أترك العمل هنا سأترك لك سيارتي. فلدي خطط كبيرة لن أحتاج معها إلى سيارة قديمة.

ضحكت ماندي:

- قد أطلبك بتنفيذ وعدك... هذا إذا بقيت سالمة... فمن

الرائع أن أخرج وحدي دون انتظار أن يقلني غرانت.

لكن فكرة امتلاك السيارة ما عادت مهمة لها. فبسبب رغبتها في اقتنائها كان التفكير عن رايان.. وفاليري وحدها تعرف مكانه، وهي لن تستطيع زيارتها ثانية بعد أن عاد إليها غرات. سألتها فجأة:

- ما مدى صداقتكما؟ إنه يخرج كثيراً لوحده.. أسبب فتاة؟ هزت كتفها:

- أنا لا أتدخل في شؤونه الخاصة.

أذنته لهجتها بطريقة ما فابتسم مغيراً الموضوع:

- حسناً.. سأفقل الموضوع، عمن سنكلم.. عنك؟ أنت أجمل فتاة رأيته.. لماذا لم تتزوجي بعد؟ ابتسمت:

- ربما لأن أحداً لم يطلبني للزواج.

- هذا يعني أن أمامي فرصة؟

- لا أظن.. يجب أن تعرف أنني لا أهتم بالرجال أبداً.

- امرأة غريبة! لكنك لا يمكنك لوم شاب إن حاول. وأنا متأكد أنك لن تحاولي إفساد أمي.

وضغط على دواسة السرعة فانطلقت السيارة بسرعة وتمايلت. انشغلت ماندي بالتمسك بأطراف مقعدها لئلا تقع.

تناولا العشاء في مطعم إيطالي يقع في وسط أوكلاند.. ثم انتقلا إلى مربع للرقص فيه أضواء لامعة وموسيقى صاخبة تجعل الحديث مستحيلاً. وبعد أن حاول أن يكلمها مرتين أو أكثر دون أن تستطيع سماعه أمسك بيدها وأخرجها من المكان ثم قال ضاحكاً:

- أظن هذا يكفي.. كنت أقول إن هذا الشاب الذي تعذبين نفسك من أجله لا يستحق عذابك هذا.. فاسدلي شعرك وانسي أمره. فلا فائدة من بقائك بائسة هكذا.

- وما أدراك أنه رجل؟

انزعجت حين علمت أن تعاستها واضحة.. وأجاب بمرح:

- حين تبدو امرأة مثلك تعسة، فالسبب دائماً رجل. وإذا كان لا يملك العقل الكافي لمعرفة تعلق امرأة جميلة به، فهو لا يستحق أن تكسري قلبك من أجله. هيا فلتعش ووصولاً إلى الملاهي لمحاذية للنهر.

كانت تعرف أن في ذلك الشارع مرايع للهو وأماكن للعبث، وحانات رخيصة.. ولم تكن تحب الذهاب إليها. لاحظ مايك ترددها فقال:

- هذا أمر حتمي.. لا يمكن زيارة المدينة دون مشاهدة ذلك الشارع. إن لم تفعلني كنت كالفني ذهب إلى باريس دون أن يشاهد برج إيفل.

أعجبته المقارنة فضحكت، وسمحت له بأن يقودها إلى تلك البقعة المشهورة السمعة. وتمسكت بذراعه حينما كانا يقتربان، وقال لها شارحاً:

- منذ سنوات.. كانت مركز الحياة البوهيمية في أوكلاند. لكنها اليوم أصبحت ذات وجهين، فهي في النهار، صدقي أو لا تصدقي، منطقة سكنية رصينة، ومركز تجاري.

قالت ماندي مبتسمة:

- وفي الليل تتغير تغيراً تاماً، أعتقدني أحب رؤيتها نهاراً. تعلقت بذراعه أكثر وراحت تنظر إلى ما حولها. كانت أنوار النيون تشع في كل مكان حتى فوق غصون الأشجار وحاولت ماندي أن لا تنظر إلى البغايا اللواني يرمشن بأهدابهن الاصطناعية إلى كل رجل ينظر إليهن. وكان هناك مجموعات من السواح مثلها مسلحين بالكاميرات.. وهناك شبان متحلقين قرب البركة يبدو

أنهم يتعاطون المخدرات أو يروجونها. هذا مكان ما حسبت نفسها يوماً تقصده خاصة في الليل. لكنها كانت تجربة. ومر بها جماعات من الشبان يركبون دراجات نارية، وكان هناك مجموعات أخرى تتجمع عند الزوايا، ويبدو أن الجميع يجلدون متعتهم في هذا المكان الشرير.

أدخلها إلى ناد ليلى بدا أقل بهجة من غيره وجلسا يتأملان ما حولهما ويحسبان المثلجات حتى أعلنت أنه قد حان وقت العودة إلى المزرعة. ولم تدرك أن الوقت متأخر حتى أصبحت داخل السيارة وما زاد الطين بلة أن عجلة ثقبت أثناء المسير فتوقف ليستبدلها بأخرى. لكن لم تخشى غرائث؟ إنها حرة في تمضية أوقات فراغها كما يحلو لها ومع ذلك أملت الوصول إلى المنزل قبله وذلك لعلمها أنه سيغضب حين يعرف بأمر خروجها مع مايك. أحست بالارتياح حين وصلا. لقد لاحظت أن سيارة غرائث غير موجودة، فشكرت مايك على هذه السهرة:

- لا تشكريني ماندي... يجب أن نعيد الكرة.

لم يكن قد مضى عليها في غرفتها إلا بضع دقائق حين سمعت سيارة غرائث تتوقف... عادة كان يتوجه فوراً إلى السرير، لكنه الليلة فاجأها بطرقه بابها وبالدخول عليها بغير إذن. كان وجهه متوتراً غضباً، وذراعه مسبلتين وقبضته مشدودتين وكأنه يجد صعوبة في إبعادهما عنها:

- أين كنت بحق الله؟

ردت بهدوء:

- خارجاً، وما شأنك أنت؟

- أحب أن أعرف أين كنت؟

- أنت رئيسي لا حارسي مما يعني أنني حرة في الخروج متى

أردت. فسأفعل... والواقع أنني أمضيت ليلة سعيدة مع مايك كيتدل.

- وهذا ما عرفته... لقد أخبرني ماكس. عدت باكراً وكنت ماصطحبك بنفسى، لا يحق لك الخروج دون أن تعلميني به. صاحت به:

- ليس حقى؟ بل حقى أن أفعل ما أريد... ولماذا أردت اصطحابي... هل تخلت فاليري عنك مجدداً؟ كانت رغم صراخها الغاضب عليه تتأوه داخلياً على قوأت هذه الفرصة الذهبية! لكنها لن تعترف بأن هذا أزعجها. رد بانزعاج:

- اتركي فاليري خارج الموضوع... أريد أن أعرف ماذا كنت تفعلين... كل شيء... هل غازلتك ذلك الشاب؟ لم تصدق ماندي ما تسمع:

- حقاً غرائث! أو تحسبني أعترف لك إن غازلني، لا؟ ما أفعله في وقت فراغي هو شأني الخاص لا شأنك أبداً. - لو وضع أصبعه عليك أقسم أن أحطم عظامه. قفز قلبها الماء، إنه يغار. لكن كيف وهي لا تعني له شيئاً؟ أثارها أن تراه هكذا، وقادها شيطانها إلى البعيد. - أعرف معه على الأقل أين أضع قدمي... فلا ادعاءات زائفة. بيننا.

- وهل ستخرجين ثانية معه؟

- طلب مني إعادة الكرة.

صاح بصوت حاد ترددت ذبذبته في أرجاء الغرفة:

- أمنعك... أمنعك ماندي... أنسمعين؟ هذا الرجل لا يستحقك. جاء إلى هنا يطلب وظيفة مؤقتة وهو سيرحل بعد

أسابيع.. ما هو إلا منتهز فرص... نطلق على أمثاله «الرُّحْلُ»
ليس لديهم براعات خاصة وينتقلون من مكان إلى آخر معبياً إلى
العمل. إنه ليس من صنفك أبداً.

كان يتلفظ كل كلمة وقد أمسك بذراعيها بهزهما حتى أحست
بالدوار. مع ذلك أجابت ببرود:

- لم أكل إنني أبحث عن علاقة دائمة، مايك مرح، لطيف،
وتمتعت بصحبته.

سألها بغضب:

- وتمتعت بعناقه؟

- وما شأنك أنت؟ أرجوك اتركني.. أنا متعبة.. أريد النوم.

- عجباً لأنك لم تدعه إلى فراشك.. لكن هذا من حسن حظ
قلو وجدكما معاً...

فجأة ضمها إليه بقساوة ووحشية، صاباً جام غضبه عليها. كان
عناقاً عنيفاً، لم تستطع معه المقاومة فقد كانت متعبة عاطفياً..
فخلال الأسبوع المنصرم لم تفكر في سواء، ومع أنه الآن معها
غاضب إلا أن هذا خير من لا شيء. في هذه اللحظات نسبت
فاليري ونسي مايك، وهذا ما كان يعني لها الكثير الكثير.

وكما أخذها فجأة، دفعها عنه فجأة فترنعت وكادت تقع على
السريр. فنظرت إليه ساخطة تحاول إبراز غضب لم تكن تحسه:

- لم فعلت هذا؟

- لماذا؟ قل لي أنت لماذا خرجت مع مايك.

- لأنني سئمت البقاء وحيدة، أليس هذا بسبب كاف؟
أحني رأسه:

- معك حق... لكن أكان يجب أن يكون هو؟

- ومن غيره؟ ماكس؟

- عدبني ألا تخرجني معه ثانية.

في كلامه إلحاح لم تفهمه:

- لا أرى سبباً لأعدك، لكنني سأفعل إذا وعدتني أنت بعدم

الخروج مع فاليري.

كانت خائفة وهي تتكلم من أن تنظر إليه ومع ذلك رفعت
بصرها نحوه، وشاهدت الألم على وجهه وفي عينيه، ورد بصوت
منخفض مشدود:

- آسف.. هذا مستحيل.

فصاحب به غاضبة:

- إذن، لا تحاول منعي من الخروج مع أصدقائي.. وأخرج

من غرفتي.. الآن!

وخلعت حذاءها لترمي به، فأمسك به بين يديه، ونظر إليه
وكانه يتساءل لماذا وجهت هذا الصاروخ إليه... وكأنه لا يستطيع
فهم سبب عدائها، وعادت للصراخ:

- قلت أخرج من هنا!

وضع الحذاء أرضاً، ونظر إليها وكأنه يؤنبها، ثم فتح الباب
ليخرج دون أن يقول كلمة واحدة.

جلست ماندي على حافة السرير دهرأ قبل أن تجد القوة على
خلع ثيابها. كانت تستحم عادة قبل النوم، أما الليلة فلم يكن لديها
القوة أو الرغبة، فقد ساءتها خسارة فرصة الخروج معه، كما ساءها
تصرفه غير المعقول معها.

أطلق مايك دعوة أخرى لها في اليوم التالي لكنها رفضت
مدعية التعب... فوعدها بموعد آخر... وفي الأيام والتالي
التالية تعذبت كثيراً، كانت تعرف أن غرائث يعرف كل تحركاتها.
مع أنه لم يكن في المزرعة، لقد عرفت أنه كلف ماكس بمراقبتها

وقد لازمها العجز دائماً.

- سمعت أن المعلم وبخك لخروجك مع مايك، أنا آسف لهذا، كانت غلطتي.

- لم تكن غلطتك.. لكن لا تقلقا.. لن أخرج مع أحد بعد.

ولم يسألها ماكس لماذا، لأنه يعرف مشاعرها نحو غرانت.

كانت تشعر مع مرور الأيام بالإحباط حتى قبلت أخيراً إحدى دعوات مايك المتكررة.

اصطحبها إلى مطعم بطوف على النهر، وحين عاد تركته، رغم علمها بأن هذا خطأ، يعاقبها. لكنها لم تشعر برودة فعل وحين تراجع قالت:

- آسفة!

- اتسي الأمر. هذا ما كنت أتوقعه منك، لكن بالله عليك حذار أن يتآكل قلبك بسبب رجل لا يهتم بك.. فهذا لن يفيدك.

ابتسمت له.. ثم توجهت إلى المداخل، ومنها إلى الممر المفضي إلى غرفتها.. تعجبت لدى رؤيتها خطأ من النور تحت بابها. إنه غرانت. خفق قلبها، لقد ضيبتها ثانية!

لكنها مبددة نفسها، وهو من اختار إنهاء علاقتهما قبل أن تبدأ حتى.. ولا يمكنه إملاء ما يجب أن تفعله أو لا تفعله فلا شأن له بها أبداً.. أبداً.

قفزت الخطوتين الأخيرتين ودفعت الباب بقوة، غاضبة، بارقة العينين بوحشية.. لكنها توقفت مسمرة شاحبة كالأموات..

لقد مضى زمن طويل طويل منذ أن رأت الرجل الواقف على بعد أقدام منها.. لقد تغير كثيراً.. لكن ما من خطأ في ذلك الشعر الأحمر الكثيف الذي يشبه لون شعرها ولا خطأ في هاتين العينين الخضراوين. صاحت دون وعي:

- رايان!.. اووه.. رايان! أهذا أنت!

٨ - أميك عمري

كان الارتقاء بين ذراعي أخبها أمراً لم تتوقعه مائدي أبداً.. ليس اليوم أقله. فجأة ذاب إحباط الأسابيع الأخيرة وأضحى فيضاً من الدموع، كانت قد مضت عدة دقائق قبل أن تتمكن من الكلام.. وكان رايان يحضنها وكأنها ما زالت طفلة، طفلة بحاجة للحب والحنان والمؤاساة.

حين نظرت إليه أخيراً، ترفع وجهها لتنظر إلى عينيه، لاحظت أن ذاك الولد الذي رحل عن انكسار منذ سنوات قد كبر. غمرتها مشاعرها، فهذا الرجل هو ما تبقى من عائلتها كلها. إنه يعني لها أكثر من أي شيء في العالم.

سألها صوت خفي في داخلها: أكثر من غرانت؟ في هذه اللحظات.. أجل.. أكثر بكثير من غرانت.. فلا فائدة من حب غرانت الذي سينتهي عقدها معه يوماً وتخرج من حياته إلى الأبد. لكن رايان.. رايان سيبقى لها دائماً.

قالت متهدجة الصوت يقطعه نسيجهما:

- بدأت.. أياك من رؤيتك ثانية. لماذا رفضت مقابلي؟

رد متجهماً:

- ثمة ما هو بحاجة إلى تفسير. أما الآن فإلهم أنني معك. لكنني ما تصورت أن مائدي الصغيرة قد تأتي بحثاً عني.. حين سمعت أنك هنا، لم أصدق، كنت أذكرك فتاة صغيرة ذات ساقين نحيلتين ووجه

مليء بالتمش. لكنك أصبحت الآن امرأة جميلة! ثم أفكر قط في أن
أختي الصغيرة ستصبح هكذا...
ابتسمت له:

- لن نعرف أبداً ما تعني زيارتك هذه لي.

بدا نادماً، وتركها مبتعداً خطوات، ثم استدار لينظر إليها، ووجهه
مضطرب:

- لم أحضر إلى هنا بإرادتي ماندي... لقد ارتكبت ما أخجل من
ذكره، ولم أرغب في رؤيتك... أحسست بأنك لا تستحقين وزر
عاري.

صاحت به:

- أنا عائلتك، وما يصيبك يصيبني. يا إلهي رايان... ألم تعرف
هذا! أريد مساعدتك بأية وسيلة ممكنة... أنا امرأة الآن، وما عدت
غيبية أو مسخيفة كما كنت عندما تركت البيت. سأقف دائماً إلى جانبك،
هذا ما يجب أن تعرفه يا رايان.

بقي يهز رأسه، وكأنه يخوض معركة داخلية ليقيها خارج
حياته أو كأنه ما زال لا يصدق أنها كبرت هكذا.

- هل أنت في إجازة هنا؟ أم جئت لتعدي الطريق لوصول أمي
وأبي؟ أعلم أنهما كانا يريدان العيش في هذا البلد بعد تقاعد أبي الذي
أوشك على ما اعتقد على من التقاعد... يا إلهي، كنت في غاية
السعادة برويتك حتى نسيت أن أسألك عنهما.

أغمضت ماندي عينيها، ومسحوق الحزن قلبها... لن نستطيع
تذكرهما دون أن تعود إليها الطريقة التي ماتا فيها. وانفجرت يائسة،
غير قادرة على تغليف النبأ المفجع بكلمات جميلة:

- أمي وأبي ماتا في... حادث سيارة.

جف وجه رايان من اللون:

- أوه لا... لا... أردت أن أراسلهم، لكنني كنت أخجل من
نسي... كنت أنتظر حتى...
قاطعته:

- لم يتعبدا... ماتا على الفور... لقد اصطدما بشاحنة كان
صاحبها قد فقد السيطرة عليها. ولم يكن أمام أبي فعل شيء.

انهار أخوها وقعد على حافة السرير، يدفن رأسه بين يديه،
ووقفت ماندي بصمت تراقبه فهو بحاجة إلى بضع دقائق ليتماسك،
لقد كانت الصدمة كبيرة.

أخيراً رفع رأسه إليها، وكاد قلبها يقفز نحوه حزناً على ما تراه من
أسي على وجهه. قالت له:

- أنا آسفة، ما كان يجب أن أخبرك سريعاً، لكنني انتظرت
ضرباً... لقد جئت لهذا السبب! أردت إبلاغك شخصياً، لا كتابة،
فلم يبق الآن إلّا أنا وأنت رايان.

قعدت قربه فضمها إليه بقوة... علمت من ارتجاعه أن الصدمة
كانت أقسى عليه وطأة مما كانت عليها... فرغم امتناعه عن المراسلة
إلا أنها لا تشك في حبه لأهله.

قال لها بصوت ضعيف:

- ليس هناك ما يقال يا صغيرتي ماندي... لكنها صدمة... لم
أنوقعها... هل نألما كثيراً حين توقفت عن المراسلة؟

أطرفت برأسها، غير قادرة على الكلام... فقد كانت تكرة أن تراه
متزعجاً، كان دائماً أخاها الأكبر القوي، المتأمر قليلاً، وما سمعته من
غرائث أكد لها هذا، لكنها تعرف أن له قلباً رقيقاً.

استجمع بجهد فائق رباطة جأشه:

- لا أصدق أنك تعملين عند غرائث... هذا آخر مكان توقعت أن
أراك فيه.

- جئت بحثاً عنك .. كانت المزرعة الدليل الوحيد عليك بعدما
فقدته في شقتك في اوكلاند.
- أو لم يطردك غرانت؟
ابتسمت:
- جرى بيننا شجار لا بأس به. اعترف بهذا.
- ثم عرض عليك الوظيفة .. كيف حصل هذا؟
- لم يكن عرضاً .. لقد أجبرني على العمل، بطريقة ما. قال إن
عليّ أن أعمل حتى أمتدّد ديتونك.
- ماذا؟

شد على قبضتي وقفز واقفاً، وبدأ غضبه يتصاعد بشكل ملموس.
واحمز وجهه حتى أصبح أحمر بشعاً. فمست ذراعه وجذبتني ليقعد:
- أرجوك! لم أعترض، بل تمتعت بالعمل. كان يظن أنه
يستخدمني لتنظيم منك، لكن الأمر ارتد عليه. فقد أحببت عملي ..
وكنت أريد الوصول إليك وليس لدي مال، ففضلت العمل عنده حتى
أصل إلى ماري. لبتك تعرف مدى معاناتي لأنني بت بلا عائلة، ولبتك
تعرف مدى يأسني إلى إيجادك.

أخذ رايان عدة أنفاس عميقة جامهاً كي يسيطر على أعصابه:
- ألم يؤذك؟

هزت رأسها بشبات:

- أبداً، لم يؤذني أبداً.

لكن، كان في صوتها شيء، فضح أشياء أخرى فسألها بخشونة:
- ألم يحاول شيئاً آخر؟

هزت رأسها، لكنها كانت تعرف أن الذنب باد على وجهها فنظر
إليها رايان فرحاً:

- لا تقولي إنك وقعت في حبه؟ ليس غرانت مونتغمري؟ أعرف أنه

نذل وسيم .. هكذا كان قبلي أن ..

صمت وقد بدا مضطرباً .. فأحست ماندي بالعطف لكنها علمت
أنه لن يحتاج إليها الآن. فقالت:

- أخشى أنني أحببتك، إنه رجل عظيم رايان. لكن الحب من طرف
واحد فلقد رجع إلى فاليري.

- هذا ما عرفته .. لكنها فاجرة دون أدنى شك، رغم كرمي لهما
الرجل إلا أنني أراه يستحق من هي أفضل منها.

- فلتتكما؟

- ساعدتني حين احتجت للمساعدة .. وكان بيننا شيء ما يوماً،
لكنها تمنح نفسها لأي رجل مقابل المال .. أنا دهش من عودته إليها
خاصة وهي قد عاملته تلك المعاملة المزرية! كيف عرفت أننا
صديقان؟ هل أخبرك غرانت؟

- أنت تمزح .. إنه ماكس .. لقد احتواني تحت جناحه .. ورغب
في مساعدتي.

رد بعرامة:

- أو ربما كان يساعد غرانت على أن يجذني بواسطتك .. ليس
لديك فكرة عن المأزق الذي وضعته في. كنت أريد رؤيتك، لكن لم

يكن لدي خيار .. قريباً أخبرتك غرانت، أو ربما أخرج منك الحقيقة
عنوة. كنت أعلم أنه لو وضع يديه عليّ لقتلني .. يجب أن تعرفي أنني

لم أقصد أذيته. كنت خائفاً لأنه ضبطني .. وتصرفت عن غير وعي،
منذ تلك الحادثة والندم يتآكلني.

- أيعلم غرانت بوجودك في المزرعة؟

- أجل .. لكنني لا أدري كم من الوقت سيمنع نفسه عني. قال
إنني أستطيع محادثتك، لكنني لا أثق به.

- حقك أن تخشاه، فهو يكره رؤيتك .. لكن شرحت له وضعك.

قاطعها رايان بوحشية:

- ماذا سيفعل؟ غرائت مرتغمري رجل غير متسامح، أما زلت لا تعرفينه جيداً؟

هزت رأسها بحزن:

- أنت على حق، طبعاً. إنه يسعى إلى إهراق دمك، عرفت هذا طوال الوقت. كيف خاطرت بالمجيء إلى هنا، أنا ممثلة لك، حقاً. أخبرني ماذا فعلت في السنتين الأخيرتين.
بدأ الحرج عليه:

- كنت أتلقي المساعدة بسبب إدماني على المسكرات.

- كيف استطعت أن تسرق؟ قال غرائت إنك عبثت بحساباته، وإنك مدين له بمبلغ كبير.

نهذ رايان:

- أنا لست ذلك الأخ الطيب ماندي... ولست أدري لماذا تريدني... أعتقد أن من الأجدي أن تعرفي كل شيء عني الآن. لقد كنت أعاني من المتاعب حتى في انكلترا، لقد سرقت بعض المحلات في طفولتي مع أنني لم أكن أحتاج مالا وما كان ذلك إلا للإثارة التي يبعثها الفرار والهروب. وحين انتقلت إلى هذا البلد حسبت نفسي بادئاً بحياة جديدة، لكن المال شح في يدي ووجدت السرقة سهلة إنها كمن يأخذ قطعة الحلوى من طفل. وعندما أصبح في جيبي مالا رحمت أعافر الخمر وأعاشر النساء ومنهن قاليري تشاتوم، وفي النهاية أصبحت مدمناً واضطرت إلى إيجاد طرق أخرى للحصول على المزيد من المال... حين أعود بالذاكرة إلى الوراء أرى شدة عنائي... لكنني تلقيت العلاج الآن، وأصبحت شخصية مختلفة.

- أيعلم غرائت هذا؟

كانت تستمع إلى قصته بدقة، تحسن بالرعب، فالشفقة فالارتياح،

أجابها:

- لم تتبادل سوى بضع كلمات، أعتقد أنه بعد أن أنهى محادثتك سوف...

- دعني أكلمه. سأشرح له ما شرحته لي. وسيكون كل شيء على ما يرام، أعرف هذا.

رد بخشونة:

- لا... أنت لا تعرفينه كما أعرفه. متى أدخل شيئاً في رأسه يصعب أن يخرج منه أحد. إنه حاقد علي، وأعرف هذا!

- إذن سترحل... سترحل معاً، سنذهب الآن. قبل أن يعرف ما تفعل.

- وبعاداً نهرب... ألدبك سيارة؟

هزت رأسها نفياً، فأكمل:

- كيف إذن، أخبريني؟

- كيف وصلت إلى هنا؟

- غرائت أحضرني.

رددت دعة لا تكاد تصدق:

- غرائت؟

هز رأسه وضم شفتاه بقوة:

- أنا الآن تحت رحمته ماندي... ولا مجال للهروب.

- هراء! لن أدعه يقتلك، سنهرب بطريقة ما. لدي صديق، يملك

سيارة قال إنه سيعطيني إياها حين يترك العمل، وسيساعدنا أعرف هذا.

أخذت ترمي ملابسها في حقيبتها وهي تتكلم، ثم أفلتها.

فأمسكها رايان:

- أرجو أنك على حق ماندي...

فتحت الباب وجالت النظر في الممر، ثم خرجا من المطبخ إلى
القضاء الخلفي. . وكانت ماندي تعلم أن مايك ينام على سرير في مخزن
التبن، راقضا مشاركة ماكس شقته. ولقد توقعت أن يذهب إلى هناك
مباشرة بعد عودتهما. لكن المخزن كان فارغا، وحين نظرت إلى حيث
يحتفظ بسيارته وجدت المكان فارغا كذلك، فالتفتت إلى رايان
بأسف:

- إنه ليس هنا! ماذا منفعل؟

قبل أن يرد رايان ظهر شخص من العتمة، وجملت ماندي تنمست
بلذراع أخيها.

- أذهبان إلى مكان ما؟

رد صوت غرانت الأجرش العميق في العتمة. فاهتز قلب ماندي
حتى عجزت عن التنفّس بكلمة، أما رايان فوقف متوترا وراح ينظر إلى
الرجل المتعرج.

سألته ماندي بعداء:

- أين مايك؟

رد بصوت منخفض خطير:

- رحل.

- بسبيك كما اعتد!

رد ببرود:

- كان هذا ضروريا. لقد حذرتك من الخروج معه ثانية.

- لا شأن لك بحياتي الشخصية!

- ربما لا. لكن من حفي أن أستخدم وأطرد من أشياء وما مايك

إلا عامل وحالة. أكنت تفكرين في طلب المساعدة منه؟

لم تستطع أن تخفي عداها:

- تعرف هذا جيدا

كانت غاضبة لأن خططها فشلت. لكن ماذا تفعل وهي تجد
صعوبة في أن تصدق أن هذا الرجل الذي تحبه بعيد عنها هذا البعد
كله. وفي هذه اللحظات كرهته فقد أصبح لرايان المركز الأول في
حياتها الحاتية وهي تريد أن تهرب معه.

بني آخرها صامتا. لكنه قال بهدوء لها الآن:

- لم يعد بمقدورك فعل شيء. فهذه النهاية.

وتنظر إلى رئيسه الأسبق، لكن قبل أن يقول شيئا تحدثت ماندي:

- لقد خضع رايان للعلاج وأصبح مختلفا يا غرانت! هل أخبرك

بهذا؟ وهو أسف حقا على ما فعل.

نظرت إلى الجرح في وجه غرانت وتساءلت عما إذا كان أسف

رايان قد يساعد.

- لقد خضع للعلاج وشفي من الإدمان على الخمر. ربما أنني الآن

هنا لأساعده، فأرجوك. . . دعنا نذهب.

قال رايان:

- ما تقوته ماندي صحيح، وأنا آسف غرانت. لم أكن أقصد

أذيتك. لقد فقدت عقلي. . . أما الآن فأنا أعيش عيشة جيدة، لدي

شاحنتي الخاصة، وقريبا سأتمكن من رد مالك.

لم يرد غرانت، بل نظر إليهما عاقدا حاجبيه الأسودين، ممثلا

وجهه بغضب ليس فيه أثر للغفران.

- أريد أن أتحدث إليك رايان. . . وحدنا!

تعلقت ماندي بأخيها، لكن رايان تخلص منها:

- لا تقلقي ماندي. . . سأكون على ما يرام.

لكن ماندي لم تكن واثقة من هذا. . . كانت تحس بأن غرانت قد

بوذي رايان، فهو لم يصدق. لذلك خشيت أن تتركهما وحدهما. قال

غرانت:

- خمس دقائق.. هذا كل ما أنا بحاجة إليه.

ارتفع رأس ماندي تنهمه عينها الباروتان:

- خمس دقائق مدة أكثر من كافية لقتل إنسان.

لاحظت حتى في اللغلام أن كلماتها زادت غضباً، فقد اتسعت فتحتا أنفه واشتد خط فمه حتى استطاعت أن ترى بوضوح مكافحته غضبه. كانت أصابعه تنقبض، وصدره يعلو ويهبط.

- طلبت منك مرة أن تنقي بي ماندي.. أنا لن أؤذي أخاك.

أعذك. أريد أن أتحدث إليه مهما قلت أو فعلت.

وارتد عنها، أما رايان فنظر نظرة اعتذار مبسماً ثم لحق به.

لقد ذهب إلى المقصلة بقدميه، كانت تعلم أنها تبالغ كثيراً بقلقها. لكنها كانت خائفة على رايان الذي يكرهه غرانت كرهاً شديداً. وهو لن يصدق أن رايان يبدن وأصبح إنساناً آخر.

سارت خلفهما ببطء.. وأخذت تذرع الممر خارج المكتبة. ومرت خمس دقائق، ثم عشرة.. وحين لم يخرجاً أنصتت إلى الباب أولاً ثم طرفته وفتحته فارتدت مذهولة وهي ترى الرجلين جالسين بكل هدوء على جانب الطاولة.

كان بينهما صينية عليها إبريق قهوة وفتحتان. حين ثم تروا للغضب على وجهيهما، تلاشى عداها فابتسمت بضعف وبان الخجل على وجهها.

- فكرت، أنكما.. كنتما.. تأخرتما.. تساءلت.. ماذا حدث.

رد غرانت:

- تعين إن كنت قد صدقت الوعد؟ أترين.. إنه ما يزال قطعة واحدة، سالمًا.

وقفت رايان مبسماً يحنان إلى أخته:

- كدنا نهي حديثنا.. وأنا متعب. ولقد عرض علي غرانت بكل

لطف سريراً تلميت. وسأذهب إلى النوم.

قالت باحتجاج:

- لكنني أريد سماع ما حصل.

هو رايان رأسه:

- ستحدث بهذا صباحاً.. تبدين متعبة كذلك، فلماذا لا تأوين

إلى فراشك؟

فقال غرانت:

- أود أن أأخذها قليلاً.

نظرت إليه غاضبة:

- لا شيء، بيتنا يقال.

- ألا أستحق على الأقل كلمة شكر لأنني لم أؤذي أخاك؟

- لا أثق بك. فكراعتك كانت تختبر في نفسك مستين.. فلا تقل

لي إنك نسيت الأمر. أخالك تقتله وهو نائم في فراشه، فهذا هو

السبب الوحيد الذي جعلك تطلب منه المبيت الليلة.

تحركت عضلات فكبه بقوة، وازداد برود عينيه فعمد إلى صرف

رايان من الغرفة بإشارة متكررة من إصبعه. وحين أقفل الباب خلفه

ارتد إلى ماندي بوحشية:

- أنا لا أقبل ملاحظات كهذه بسهولة!

رفعت رأسها متحدية وعيناها تلعبان:

- وهل تقترح علي أن اعتذر؟

- بل أقترح سحب كلماتك.

- لا.. أأنا لا أثق بك غرانت. هذه هي الحقيقة، أحببتها أم لا!

- هل أنجشم عناء البحث عن رايان والمجيء به إلى هنا، وتركه

يتحدث إليك لو كنت أنوي أذيته؟

- لقد أقسمت على قتله.

- وكنت أعني ما أقول .. يوماً.

نظرت إليه برية:

- أتعني أنك .. سامحته؟

- لا لم أسامحه. لكنني لن أزوج نفسي في السجن من أجله. لقد أخبرني عن العلاج بل أعطاني أسماء الأخصائيين لأنأكد إن أردت. ادعى أنه كان مريضاً حين هاجمني وإلا لما ارتكب بحفي ذاك الجرم. وصدقته؟

- سأحتفظ بحكمي مؤقتاً. فالزمن وحده يثبت كلامه.

- لكن .. هل ستمهله فرصة؟

هز رأسه وابتسامة قاسية على شفثيه فعلمت ماندي أنه يقول الحقيقة. فقالت بهدوء وبساطة:

- شكراً لك، شكراً لك غرانت. سأكون شاكرة لك عفوكم إلى آخر عمري.

أرادت أن ترمي نفسها بين ذراعيه. لكن التفكير في فاليري منعها، فهي الفتاة التي يحبها، ويجب عليها أن لا تنسى هذا.

ارتدت متجهة إلى الباب، لكنه ناداها قبل أن تضع يدها على المقبض. في صوته ما جعل نبضاتها تتسارع فجأة. استدارت ببطء فالتقت عينها بعينه السوداوين العثيرتين وهو متجه نحوها. رفع يديه وأمسك ذراعيها ثم نظر في عينيها، يبحث، ويدقق.

أغمضت عينيها بانتظار ما سيفعل، واشتد ثوتر أصابعه على ذراعيها حتى أحست به يؤلمها، وحين لم يتحقق شيء مما كانت تنتظر، تجرأت على فتح عينيها، فصدمتها نظرة الألم والرغبة على وجهه. ثم تركها، بدفعها إلى البعيد:

- هذا جنون! .. اذهبي إلى الفراش ماندي. .. فليس من حقني أن أفعل بك شيئاً.

فهست:

- لماذا؟ لماذا يا غرانت؟ أريد أن تحضنتني، يجب أن تعرف هذا. .. أمي فاليري من تمنعك؟

كان ظهره إليها وكنتاه مقوستان، يحدق إلى ظلام الليل خارجاً وقد بدا مضطرباً، فظلت ماندي أنه يحس بعدم الإخلاص لفاليري وجاءها صوته معلباً:

- بالله عليك ماندي. .. اذهبي من هنا!

ثمّة ما هو خاطيء في مكان ما. لكنها لم تستطع تحديده. فأسرعت نحوه، لكنها ففزت مرتدة حين استدار. .. كان وجهه مظلماً بأحاسيس محددة بدت تخترق نفسه وكان جرحه حياً بارزاً كما لم تره يوماً.

دون أن تحاول مجادلته، استدارت وخرجت، تقصد غرفتها مباشرة. إن تصرفاته تحيرها، وتخيفها. .. وكأن شيطاناً يسكنه ويبحث فيه قسداً. وكان لهذا علاقة بها وبقاليري.

تمنت متأخرة لو بقيت أمامه. .. فلربما لو عرفت كيف تلعب لعبتها جيداً لربما استطاعت أن تسترده من قبضة فاليري! لكن من الأفضل لها ألا تراه ثانية. .. فهو الرجل الوحيد الذي أفقدها الثقة بنفسها. .. فهي هي تحس بالعجز وتشعر بأنها عالقة في شرك الرغبة.

ثم. .. هناك رايمان لتفكر فيه. ربما غرانت لم يؤذ حتى الآن لكنها تشعر أن هذا هدنة متأرجحة. ومن الأفضل لهما أن يرحلا في الصباح.

سمعت من بعيد صياح قبرة الليل الشبيه بالضحك، تبعته أوركسترا كاملة من تغريد طيور الليل على رؤوس الأشجار، أكانت أصوات الطيور يوماً شجبة هكذا! وكأنما تحاول أن تقول لها إن هناك يوماً جميلاً آخر يجب أن تحياه.

تنهدت باستسلام ثم دفعت الغطاء الوحيد عنها، ثم قصدت

الحمام فاستنحمت سريعاً، متسائلة لماذا أوقعها قدرها بحب هذا الرجل
المسلوب اللب بامرأة أخرى.

نظرت إلى حقائبها التي ما زالت حيث تركتها ليلة أمس. أصبحت
الآن تعرف أن الرجل أفضل عمل تقوم به فهو سبيلها الوحيد إلى
الخلاص. فالبقاء يعني العذاب المطلق.

بعد أن تناول الرجال القطور وبعد خروجهم، وصل رايان إلى
المطبخ منسجماً بمرح. وضعت طبق اللحم والبيض أمامه، لكنها لم تثر
على وجهه أثراً للاضطراب بسبب وجوده في منزل رجل يهدد بقتله.

فسأته متجهمة:

- لم تبدو سعيداً هكذا؟

- إنه يوم جميل يا أختي الساحرة. وها أنت هنا، وأنا من كنت
أؤمن أنني لن أراك ثانية. فماذا يطلب المرء أكثر من ذلك؟
قطبت جبينها:

- أظن أن علينا المغادرة حالما تنهي طعامك. فأننا لا أتق
بغرائك... مستصل هاتفاً لطلب تاكسي حتى تغادر قبل أن يعود.
ابسم لها رايان:

- لا لزوم لهذا، قال غرائت إن بإمكانني البقاء هنا إلا إذا كان هناك
حاجة ملحة للذهابي.

أحست فوراً بالارتباب:

- لماذا؟

هز كتفيه:

- كل ما أستطيع قوله إنه رجل أكثر من كريم.

- إن لهذا الكرم دوافع مريبة. ومن الأفضل أن ترحل، كنت
سأملك في المزرعة حتى أجذك، وها دافع بقائي قد زال.
- وماذا عن حبك لغرائت، ألا يدعوك إلى البقاء؟

فضحكت:

- هذا هو السبب الرئيسي الذي يدفعني للرحيل، فأنت لا تفهم
كيف يكون الأمر حين تحب المرأة شخصاً متعلقاً بامرأة أخرى. إنه أمر
مؤلم جداً... أرجوك رايان... دعني أعيش معك.

هز رأسه بحزن:

- لن يتجح الأمر ولو أردته ماندي... أنا أعيش في غرفة صغيرة لا
مكان فيها لأي شخص آخر.
- نستطيع أن نجد مكاناً أوسع.

- ليس الأمر سهلاً. استأجرتها لأنها رخيصة وهي تناسبني. آسف
ماندي... عليك أن تستمري في العمل لدى غرائت. إنه يدفع لك راتباً
محترماً، ولو تركت عملك الآن فقد لا تجددين عملاً آخر، وعندها
ستبقين دون مال، وهذا ما لا تستحقينه. لقد خبرت الفقر ولا أرغب
في العودة إلى المتاعب ثانية.

- ليس هناك ما يحول بيني وبين الحصول على العمل، فلدي
مؤهلاتي.
- أجل... أذكر أن أمي أخبرتني عن التحاقك بالجامعة... لكنك
اخترت مهنة غريبة بالنسبة لغثاة. كيف سارت أموروك؟

- رائعة... كان لدي وظيفة عظيمة حين تركت انكلترا، ولدي
رسائل توصية ممتازة، ولا أظنني سأجد مشكلة في التوظيف، لكن
يبدو أنك لا تريدني معك...
تنهد نافذ الصبر:

- لا تصغي الأمور علي أكثر مما هي الآن ماندي... إنني أقول لك
الحقيقة، إنها المرة الأولى التي أكون فيها مستقيماً وأريد الاستمرار
فلو انتقلت إلى منزل آخر أوسع وأكبر لكلفني ما لا طاقة لي به، وهذا
ليس بالحل الصائب.

لم تجد ماندي جدوى من متابعة هذا النقاش فسألته امرأة كان يحيرها:

- كيف وجدك غرائت؟

- بواسطة فاليري!

لم تدعش فنتلك المرأة تحسب أنها تخدم غرائت. وتابع:

- أعترف أنني كنت خائفاً حين واصل، ما إن سمعت فرع الباب حتى عرفت أنه هو. كنت أتوقعه منذ زمن بعيد، وحين علمت بقدمك إلى هذا البلد عرفت أن الأمر أصبح محتملاً.

- لكنني ما كنت لأخبره.

هز رأسه:

- كان يتربص بهدوء، ولو أراد لوجدني منذ زمن. أظن أنك أنت من حرك الماء الراكد.

- لماذا لم يسع إليك إذن، لقد هدد به دائماً.

- ثم يكن ودوداً معي، لكنه بدا قلقاً عليك. قال إنني أكاد أدفعك إلى الانهيار وأنه يجب أن يكون لدي كرامة لأتحدث إليك.

اتسعت عيناها:

- أنت تمزح! ولماذا يزعج نفسه بي؟

قال رايان ببطء:

- ربما... يهتم بأمرك؟

- هراء! أحسست أنه مهتم بي يوماً وكانت الدلائل تشير إلى ذلك.

ثم ظهرت فاليري، فأصبحت فجأة خارج حياته، ومنذ ذلك الحين أهملني كل الإهمال وبت لا أراه إلا نادراً.

- لم يكن هذا انطباعي عنه، ربما خشي أن يظهر مشاعره؟ لقد شوهته تشويهاً فظيماً، ولم أكن أعرف هذا. وربما يحس أن من غير العدل أن يربط حياتك به.

ردت بغضب:

- لكنني لم أنزعج قط منه، ولهذا لم أفهم سبب عودته إليها. يا إلهي! لقد أذته أكثر مما أذيت أنت، وكانت جراحة تجميلية بسيطة كفيلة بإزالة جرحه، لكن ليس هناك مجال لإصلاح الضرر النفسي... لقد حطمته تماماً يا رايان... لم أشاهد رجلاً في مثل حالته قط... كان يحس بأنه سيكون غير عادل إذا صادق امرأة... كان يظن نفسه نوعاً من الوحوش.

- يا الله... ليس الأمر بهذا السوء.

- قل هذا له... لم يخرج مع امرأة منذ سنتين، وهذا غير طبيعي!

لقد رفع عن وجهه قناعه مرتين ليس إلا. وأنا أجده جذاباً ساحراً... إنه أكثر الرجال إثارة، عظامي تذوب لمجرد النظر إليه... أنظنتني سخيقة؟

- وهل أخبرت به مشاعرك؟

صاحت:

- يا ربا! لا! فما فائدة أن أقول له إنني أحبه، وهو مهتم بفاليري؟

- أظنه سيجد هذا القول مثيراً للاهتمام...

صدرت هذه الكلمات من ورائها بهدوء من حنجرة غرائت العميقة، فارتدت مصعوفة على عقيبها، والدم يتدفق ساخناً قمرزياً إلى وجهها. وصاحت به بحدة:

- منذ متى أنت هنا؟

والتفت إلى رايان قائلة بحق:

- لماذا لم تقل إنه هنا بحق الله!

رد غرائت بهدوء:

- لأن أخاك يحس بأن من حقني أن أعرف، أعني أن الرجل يحب

أن يسمع هذه الأشياء من الفتاة.

- لكن ليس من حقك النجس!

- لولا تجسسي لما اكتشفت الحقيقة، وما كشفت أمامي أنار لي الطريق. أعتقد أنه حان الوقت حتى تبادل بعض الحديث. سأنتزعك من أخيك، فما سأقوله هو لأذنيك فقط.

أحست ماندي بانقطاع أنفاسها وهو يمسك ذراعها ويقودها بحزم من المطبخ إلى غرفتها. ولم يكن غاضباً، بل كان الاهتمام يكسو وجهه، والسعادة تغمره! أبشع بالفور لأنها وقعت في حبه رغم تشوّهه؟ لقد أحبته هي وعادت إليه فاليري. إنه لفخور الآن بحسب بأنه رجل مكتمل مرة أخرى!

لم تكد تخطو إلى غرفتها حتى شدها إلى صدره، ولقها بشدة بين ذراعيه. وقال بخشونة، وفمه على جبينها:

- ثمة شيء واحد يجب أن نهتم به فوراً، شيء لن أصبر عليه أكثر. وكان عناقاً ليس كمثله عناق، أنساها الزمان والتعقل ونقلها إلى الأعلى حيث تشبث بها، تجاوبت معه بقوة ووهبت نفسها دون تحفظ ونهلت منه دون معارضة. كانت يدها تثيرانها حتى أعماق أعماقها، تثيران فيها إحساساً جديداً مختلفاً لم تعرف مثله قط، دفع الدم غزيراً إلى كل شريان في جسدها كله. أخيراً أبعداها عنه متمتماً:

- يا الله... ما أشد ما كانت حاجتي إلى هذا العناق، والآن قول لي في وجهي ما كنت تقولينه لأخيك، أريد أن أناكد من أنني لم أتخيل ما سمعت.

ردت بصوت كبير مع أن عينيها كانتا تشعان بالمشاعر:

- وما الفائدة؟ ما كنت أريد أن تعرف. وبما أنك عرفت الآن فستصبح الأمور أصعب على كاهلي.

رد بلطف:

- أنت مجنونة... أريد أن أسمعك تقولينها، الآن! في هذه

اللحظة.

تساءلت ماندي في ما إذا كان يشعر بتجدد الحياة كما تشعر هي، في ما إذا كان قد وصل إلى الجنة وعاد منها، مثلها. وفي ما إذا كان يريد العودة إلى قوق مجدداً، لقد كان بارعاً في إخفاء ما يشعر به. لكنه لم يستطع السيطرة على النبضات التي كانت تنتفض على صدغيه.

لكن كيف تعترف له بحب لا طائل منه؟ مع ذلك ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت وكان الكلمات تسحب منها جبراً:

- أحبك غرائت... هاك... أراض أنت الآن بإذلالتي؟

أحست بالدموع تتجمع في مآقيها، فسارعت إلى إغماضهما لنلا تندفع الدموع وتفضحها... فلامس وجهه:

- ألا تابهين بشوحي؟

هزت رأسها تنظر إليه عبر دموعها:

- إنني لا أكاد ألاحظه، صدقني هذه هي الحقيقة.

- يا طفلي الحلوة... أصدقك.

وتنفس عميقاً، ليعود ويطويها إلى صدره، حتى كادت رثاها تعجزان عن التنفس، وتابع:

- أنت الوحيدة التي لم يترك الجرح أثراً في نفسك، ظنته أثر

فيك، لكنني كنت أحمق، وعرفت الآن أنك ما ارتددت عني إلا لأنك

كنت تحسبن باهتمام نحوي، وأنت كنت لا تسمحين لي بعلامتك

لأنني أوضحت لك بجلاء أنني لا أريد أن ألزم بامرأة أخرى، صحيح؟

اعترفت بخجل:

- صحيح!

- يا الله ما أعظم ما كان غيابي! كان يجب أن أعرف أن ما فعلته

فاليري لا ينطبق على الجميع. كان ذلك اليوم الذي قضينا على شاطئ

البحيرة رائعاً، أفسدته أنا بيدي لكنني فيما بعد أمضيت يوماً كاملاً

أحاول التفكير . كان يجب أن أصغي إليك ، كان يجب أن أعرف أنك أنت من بين كل الناس لا تكذابين وكان يجب أن أعرف أنك لا تسمتزين مني وأنت كنت تعنين ما تقولين . . . أوافقك أنت من هذا . . . سيكون الأوان قد فات بعد الزواج ، فأنا لا أؤمن بالطلاق . . . خلصني مرة وجدت الفتاة العنابية حتى ظهرت على حقيقتها لكنني لا أظنني مخطئاً هذه المرة . . . فأنا مجنون بحبك ماندي وقد دعوت الله كثيراً أن تقعي في حبي . لكنني لم أكن أؤمن بأن الحب قد طرق قلبك .

كانت ماندي تصفي وكأنها في حلم جميل فيه الحياة أجمل وأروع .

- أتحاول أن تقول إنك تحبني أيضاً أم أسيء تفسير كلامك لأنني أتوق إلى هذه الكلمة ؟

- أحبك . . . أحبك بكل كياني الضعيف ، أحبك منذ دخلت إلى حياتي .

- ألهذا أبقيتني في مزرعتك ؟
ابتسم :

- لولا انجذابي إليك لرفستك وأنت خارجة ، لكنني حاولت مراراً أن أقنع نفسي بأنك لست لي لأنك تذكريني برايان . . . والله وحده يعرف كم كنت أكرهه !

- أما زلت تكرهه ؟
فكر قليلاً ثم أجاب :

- لا . . . أصبح كرهني أسفاً عليه . لقد مرّ بعذاب أكبر من عذابي ، لكن يبدو أنه قد أبصر نور الحق أخيراً . وأنا مستعد إلى مسامحته لأنه أخوك ، لن أقول إنني سأحبه ، لكنني ما عدت أشعر بذلك المحقد نحوه .

- ما أسعدني . . . لكن . . . إذا كنت تحبني ، فلماذا عدت إلى

فاليري ؟ أهذا عدل لها أو لي ؟ لا يمكنك أن تحب امرأتين معاً .

- أنتعقدن أنني أحب تلك العاهرة ؟ يا الله . . . لا . . . وأنت لا ؟

- لماذا عدت إليها إذن ؟ لقد أحسست بأنك صليتني حين فعلت هذا .

ظننتك ما زلت على حبها ، كما ظننت أنك غفرت لها .

- لن أعفر لها أبداً ما دمت حياً ، إن هذا هو ما قلته لها دون مواربة هذا الصباح ، لم تأخذ الأمر بسهولة . . . لكنها مستغلب علي حزنها .

وإن يمض وقت طويل حتى تكون قد أفنعت أبلها مسكيناً آخر بأنه الشخص الوحيد المناسب لها .

- لكنك لم تخبرني بعد لماذا كنت تقابلها ؟

- لقد أغرتني . . . وعدتني أن تعطيني عنوان رايان إذا وافقت على إعادة علاقتنا إلى مجراها .

شهقت ماندي لكنها لم تقاطعه :

- لكنها تأخرت في هذا ، ولم يكن في يدي إلا مجاراتها في لعبتها حتى أحصل على ما أريد .

- لقد دهشت لأنك تركته يراني أولاً .

- يا الله . . . أنا لم أبحث عنه لأضع يدي عليه بل بحثت عنه من أجلك أنت . لم أستطع تحمل تعاسك ، كان إخلاصك له فخراً لك .

ولقد وجدته لأنك ترهبينه يا حبيبتي .

- أنتعني أنك لم تكن ترغب حقاً في رؤية فاليري . . . وأنتك أجبرت نفسك على مجاراتها من أجلي ؟

- كان هذا ما تنويه . . . لكن العلاقة لم تعد كما كانت ، أنظنين أنني قادر على معاشرتها بعد ما فعلته بي ؟

- إنها امرأة جذابة ، قد تحصل على ما تريد عادة .

- لكنها لن تحصل علي ، فلا وجود لها في حياتي . انسبها إلى

الأيدي .

رفعت مائدي نفسها على أطراف أصابعها وعقدت ذراعيها حول
عنقه تشده إليها... أحست بوهج دافئ ينتشر في أوصالها حتى غلف
كل كيائها. فابتسمت وقالت:

- أظن... سيد مونتغمري أنني سأتمتع بأن أكون السيدة
مونتغمري، وأحسبني سأتركك تقنعني بالتخلي عن مستقبلي المهني!
- لن أفعل هذا أبداً، فللمرأة أن تفعل ما تريده.
- رفعت مائدي حاجبيها بسخرية لكنه تجاهلها.
- ربما لن يسعدني خروجك إلى العمل يومياً.
- وأنا كذلك إذ أفضل البقاء والعمل عندك.
- ليس عندي... بل معي. سنكوّن فريق عمل واحد.
- تصور... لولا ما فعله رايان بك لما التقينا...
- معك حق... ربما هو ليس رجلاً سيئاً على أية حال!

عند السيد * * * جالساً

ما لم يكن يتبعه حالون المحسن